السنة السادسة عشرة العدد ٥ أيار ١٩١٣

المشرق

يوبيل
اخويّة العملة البيروتيّة

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

لو اقبل رجل من اهل الثغر في ظهيرة كلّ يوم أحد الى مقام كليّتنا البيروتيّة لرأى عددًا وافرًا من عَمَلة البلد يتزاحمون عند مدخلها واكثرهم لابسون ثيابهم الثمينة بحالة فقرهم الّا انّها نظيفة لائقة بيوم الربّ وهي افخرُ ما لديهم

فان سألت مَنْ هولاء القوم وماذا يقصدون بدخولهم الى الكليّة اجابك كلّ منهم بلا تلجلج: انّنا قدمنا لحضور اخويّة العملة المنسوبة الى الامّ الحزينة

فادخل ان شئتَ معها تجدهم ينفذون الى كنيسة المدرسة فلا تلبث حتى تغصّ بهم مع رحبها . ثمّ تبتدئ بعد قليل رياضات تقويّة يتلونها جملةً ويعقبها خطابٌ دينيّ يلقيهِ عليهم مرشدهم احد آباء الكليّة وتُختتم في اثرهِ بركة القربان الاقدس او تُوَيج صورة الامّ الحزينة بينما تصدح موسيقى الاخويّة ويتغنّى القوم بكلّ فيهم ومن صميم قلوبهم بمديح العذراء الطاهرة او ينشدون الاناشيد الروحيّة التي تُعرب عن ايمانهم وتقاهم . فاذا تمّت الحفلة انفرط سلك جمعهم وعادوا الى بيوتهم يتحادثون عمّا رأوا وما سمعوا بينما تتفاوض العمدة مع المرشد في شؤون الاخوة

فهذه الاخويّة قد بلغت في العام الحالي السنة الخمسين لانشائها وهي ثابتة في رياضاتها المبرورة واعمالها المشكورة فأحبّت ان تستوقف سيرها حينًا لتنظر ما قطعتهُ من الشوط ليس مللًا او تباهيًا بل لتشكر الله على ما اسبغ عليها من النعم وتجديدًا

قواها بذكر من سبق تتقدَّس في هذه الشركة الصالحة فتستأنف سيرها بنشاط مقتفيةً لآثارهم جاريةً على امثالهم . فتحقيقاً لهذه الغاية نذكر اولًا لابنائنا الاب الذي اختارهُ الله ليَنشئ جميَّتهم ويؤلّف شتاتها بهمّتهِ ثمَّ نبيّن كيف قام هذا العمل على يدهِ فنمت حبَّة الخردل وزكت واضحت شجرة باسقة ممتدَّة الاغصان وارفة الظلّ ونختم بذكر الشروعات التي لحقت بهذه الاخوية والفروع التي تفرَّعت منها فعاد اليها فضلها

منشئ اخوية الامّ الحزينة

أترَى هذه الصورة التي اثبتنا لك رسمها في مفتتح مقالتنا . تأمَّلها تجدها ممثلةً للحزم والرقَّة للشدَّة واللطف معاً . جبهةٌ واسعة مرقومة عليها الروِيَّة والتفكير في المساعي الصالحة . عينان زرقاوان تنفذان الى قلب الناظر . ثغر باسم يجذب اليه من يراهُ . وجنتان قاحلتان كانهما لاحد نسَّاك البراري او زهَّاد الصعيد . بنية مهيبة وقامة طويلة كما لرئيس جيش تسعى وراءهُ جيوش منظَّمة يقودها الى الحرب والانتصار

تلك صورة منشئ اخويَّة الامّ الحزينة الطيّب الذكر الاب يوحنا فيوروڤتش الدلماطي الراهب اليسوعي والمرسل الغيور

بلاد دلماطية داخلة في اعمال النمسا وهي مجاورة لبحر الادرياتيك بازاء ايطالية ومعظم اهلها من العنصر الصقلبي كأهل الاقطار المجاورة لها من كرواتية والجبل الاسود والصرب وهم القوم الممتازون باصالة الرأي والنشاط والثبات في العمل . ولمجاورة الدلماطيين البحر قد اعتادوا في كلّ آن خوض غمراته سواء كان للارتزاق من الصيد او لتجشُّم الاسفار البعيدة فزاد ذلك في جَلَدهم وقوَّة بنيتهم

ففي حاضرة تلك البلاد وفرضتها الكبيرة على البحر المدعوة راغوزة كان مولد يوحنا فيوروڤتش في ٢٠ ك ١ سنة ١٨١٩ وكان ابواهُ كاثوليكيين لكنَّ حروب تلك الازمنة كانت نكأت فيهما وألصقتهما بالدقعاء . فنشأ الولد فقيراً يتحمَّل في صغرهِ مضض العوز والفاقة كأنَّ الله اراد ان يذيقهُ منذ نعومة اظفارهِ مرارة الفقر ليشفق بعدئذٍ على ذوي البأساء

فما بلغ الحدث سنَّ الرشاد وارتشف جرعةً من مبادئ العلوم حتى اضطرَّ والدهُ الى ان يختار لهُ حرفةً يرتزق منها ويلطّف نوعاً اعباء الفقر عن عائلتهِ . فلبَّى الصغير الى

دعوة والدهِ وبعد التجربة وجد ان الملاحة احسن فنّ يزاوله فاخذ مذ ذاك الحين يتجوّل في سواحل وطنهِ في خدمة غيرهِ من البحريين يقذف القوارب وينصب القلوع ويكافح الرياح ويصادم تيار البحر حتى اصبح بعد قليل من احذق مواطنيهِ في فنهِ فاتخذ له سفينة شراعيّة على حسابهِ وجعل يتنقّل في البلاد المجاورة ثمَّ استسلم للعناية الالهيّة وابعد في اسفارهِ حتى بلغ الى سواحل ايطالية ثمَّ تخطّى الى شواطئ تركيّة بل الى ثغور سوريّة فزارها كتاجر قبل ان يتعاطى فيها تجارة اعظم واشرف فيتاع للسماء دررًا ثمينة تردان بها ديار الخلود

وكان جهاد يوحنا في سبيل المعاش وركوبهُ البحار ومعاناتهُ للمشاقّ والمخاطر في زمن كانت البواخر قليلة قد قوّى جنانهُ وصلّب اعضاءهُ وضاعف عزائمهُ فكان يزدري بالاخطار ويبطش بكل من حاول التعرّض لهُ في مزاولة اشغالهِ وكان مع ذلك رقيق القلب لا يرى بائسًا الَّا تعطّف عليهِ وبَرّهُ على قدر استطاعتهِ فاستحقّ ان يرحمهُ الله كما رحم قريبهُ

بقي يوحنا عشرين سنة يمارس تلك المهنة الشاقّة وهو لا يكاد يبالي بامر نفسهِ ولا يفكّر الَّا في الربح الزمني غير انَّهُ كان يلوذ من حين الى آخر بحماية مريم العذراء الملقّبة بنجمة البحر ولا سيما اذا أُصيب بنكبة عظيمة. وذلك ما حدث له يومًا اذ ثارت على سفينتهِ الانواء ليس بعيدًا عن الاستانة وقويت عليها الرياح فزّقت الشُرُع وصدمت السفينة بالصخور فتحطّمت ولولا شفاعة السيّدة البتول التي استغاثها لذهب الربّان ضحيّة ذاك النوء الهائل فنجا بعد شقّ النفس والتجأ الى دير قريب للآباء اللعازريين الذين رثوا لحالهِ واووهُ مدّةً حتى ثابت اليهِ قواهُ وامكنهُ ان يعود الى شغلهِ

لكنَّ هذا الحادث كان استوقف فكرتهُ واثار عقلهُ فادرك عطب هذه الحاضرة وشرف الحياة الآخرة فرحض نفسهُ بالاسرار المقدّسة ورجع الى وطنهِ ليارس حرفتهُ بتقًى لكنَّهُ كان لم يزل يشعر في قلبهِ دائمًا ببغض الى حطام الدنيا ويدفعهُ الى الزهد بها حتى قرأ يومًا فصلًا من كتاب الاقتداء بالمسيح أثّر فيهِ ايَّ تأثير فحملهُ الى تحقيق نيّتهِ وبعد ان طلب مشورة احد الرهبان الفرنسيسيين سافر الى رومية واعتزل بضعة ايَّام في احد اديرة الآباء اليسوعيين منقطعًا الى الرياضات الروحيّة رغمًا عمَّا كان يجد في ذلك من الثقل والملل لكنَّهُ لم يلبث ان عرف دعوتهُ وشعر في نفسهِ بفرحٍ

وسكينة ضمير لم يألفها سابقاً فطلب الانضواء الى الرهبانية اليسوعية فأُجيب الى ملتمسه في ٦ من شهر ايار سنة ١٨٥٢ فعدُّ تلك النعمة من سوابغ نعم الله عليه وانقلب رجلاً جديداً في المسيح

وكان الرئيس العام على الرهبانية اليسوعية في ذاك الوقت رجلاً عريقاً في البرّ والصلاح اسمهُ الاب بطرس بكس فاستدعى الطالب الجديد واذ تحقّق دعوتهُ وما طُبع عليهِ من السجايا الطيّبة الموافقة للرسالات الاجنبيّة وعرف انهُ سافر الى سوريّة عرض عليهِ ان يُعدَّ نفسهُ للاعمال الرسوليّة في تلك البلاد · وكانت الرسالة السوريّة اذ ذاك حديثة العهد وهي في حاجة ماسّة الى مرسلين غيورين يشتغلون بنشاط في كرم الربّ · فسُرَّ يوحنّا بما قيل لهُ ودخل في اقليم ليون الذي عُهدت اليه شؤون تلك الرسالة

قضى يوحنّا ستّ سنوات في فرنسة ليمتّن في قلبه اساس الفضائل الرهبانيّة التي تؤهّلهُ لاعمال المرسلين وكان رئيسهُ في دير الابتداء راهباً بالغ القداسة وهو الاب دي فورستا (de Foresta) منشئ المدارس الرسوليّة التي اغنت الرسالات الاجنبيّة بعدد عظيم من اماثل المرسلين فهذا معلّم السيرة الروحيّة وطّد في قلب تلميذهِ فيوروفتش دعائم الفضيلة وبذل الذات. واذ فتكت الحمّيات الخبيثة بعدد من المبتدئين لم يجد الاب دي فورستا مساعداً اعظم في تمريضهم من يوحنا فكأنهُ وطّن نفسهُ مذ ذاك الحين على خدمة المطعونين كما فعل في سوريّة غير مرّة

وبعد تجاوزهِ رياضات المبتدئين ابرز نذورهُ الاولى ثم انقطع مدّة اربع سنوات فقط الى درس الآداب والفلسفة واللاهوت فنال منها حاجتهُ لخدمة النفوس في الرسالات دون ان يتعمّق بها كما هو شأن الرهبان اليسوعيين الذين يقضون في إحرازها عشر سنوات وانّما تساهل الرؤساء معهُ في ذلك لتقدمه في السنّ ولحاجة رسالة سوريّة الى عملة جدد

ففي سنة ١٨٥٨ رُقّي الاخ فيوروفتش الى درجة الكهنوت المقدّسة ثمّ أُرسل الى بلاد الشام فسكن في مدرسة غزير سنتين كمعلّم وناظر على التلامذة وكان في اوقات الفراغ يدرس العربيّة الّا انّ همّهُ الاكبر كان ان يترجم عن افكارهِ في هذهِ اللغة دون درس اصولها لزعمه انّ ذلك نحوٌ والنحو لا تفهمهُ العامّة. ومع هذا

تمكّن نوعاً في تلك الاثناء من غايته بكثرة اختلاطهِ مع صغار المدارس وخدَمة الدير والفقراء

وبينما كان متفرّغاً لاعمالهِ الصالحة في تهذيب الشبيبة اذ حدثت في دمشق وفي انحاء لبنان تلك المذابح التي اسالت دماء النصارى كالسيول فقُتل منهم ظلماً نيّف وخمسة عشر الف رجل فترمّلت النساء واضحى عدد عديد من الصغار ايتاماً يتضوّرون جوعاً فتُفتحت عدّة مياتم بهمّة المرسلين اللاتينيين والراهبات الفرنسويّات اجتمع فيها مئون من هؤلاء الايتام الذين نجوا بفضل المحسنين من موت الجسد وفساد الاخلاق . وكان ميتم اليسوعيين في بيروت من اعظم هذه المآوي الخيريّة

واذ عرف الرؤساء حسن عناية الاب فيوروفتش بتربية الصغار وحنانهِ عليهم دعوهُ الى بيروت ليهتمّ بأولئك الاحداث فعُني بامرهم مدّة سنتين وكان لهم بمثابة والديهم الطبيعيين بل اعطف منهم اذ قرن بين تهذيبهم الادبيّ وتربية اجسادهم

وفي السنة ١٨٦٢ جمعوا هؤلاء الايتام في ابنية واسعة شيّدوها لهم في معلّقة زحلة لضيق دير بيروت ونموّ التلامذة في مدارسه . فبقي الاب فيوروفتش خالياً من همّهم متفرّغاً لاعمال الرسالة وحدها . فجعل يعود المرضى ويزور الفقراء فما لبث ان رأى عدداً من العملة والمساكين لا يفي بهم احصاء يتواردون الى بيروت لطلب المعاش فلا يهتمّ احد بشؤونهم الروحيّة فيعيشون عيشة البهائم ويفقدون بعد قليل ما طُبعوا عليه من الاخلاق الرضيّة باهمالهم للدين وابتعادهم عن الاسرار المقدّسة

فتمّ هذا الامر المرسلَ الغيور واخذ يبحث عن الوسائل الكافلة بحفظ هؤلاء التعساء الحظ من عدوى الاثم ووباء الكفر فلم يجد وسيلةً اقرب الى تحقيق امانيهِ من انشاء اخويّة تقويّة على اسم السيّدة الطاهرة يجمع فيها العملة ويرشدهم بواسطتها الى البرّ والسيرة الحميدة

وكان الآباء اليسوعيّون قد عرفوا بالاختبار ما ينجمُ من الخير من هذه الشركات الصالحة فانشأوا في ديرهم القديم سنة ١٨٥٢ اخويّة على اسم العذراء البريئة من الخطيئة الاصليّة لاعيان البلدة واواسط القوم . وكذلك عادوا فباشروا باخويّة ثانية لنساء البلدة في سنة ١٨٦١ . فنجح العملان كلاهما ايَّ نجاح واثمرا الثمار الشهيّة لخير النفوس ولمجد الكنيسة

على ان جلب هؤلاء العملة الى ممارسة رياضات تقوية لم يكن امرًا يسيرًا وهم غالبًا منهمكون في الاشغال المادية غائصون في بحر الهموم الزمنية لتدبير عيالهم وسد عوزهم اليومي . فألهم الله الاب يوحنا بان يستعين ببعض اعضاء اخوية الحبل بلا دنس ليقترب من قلب البائسين ويكتسب ثقتهم . فوجد بين اولئك الافاضل من اجابوا بطيب خاطر الى دعوته وخصوصًا احد رجال الخير الذي له حصة في كل عمل صالح أنشئ في البلدة جناب الهمام نقولا افندي قاطي . فكان الاب فيروقتش يتردد الى اسواق بيروت ويرفقته هؤلاء الاماثل فيستخبر عن احوال العملة وعن عيالهم واولادهم ويمد اليهم يد المساعدة عند حاجتهم حتى امكنه شيئًا فشيئًا ان يجذبهم الى الكنيسة ويلقي عليهم بعض الارشادات ويلقنهم واجبات دينهم ويشفي ضمائرهم بسر الاعتراف ويوزع عليهم بعض الادوات التقوية كالصور والمسابح والصلبان ويحضهم على ان يأتوا اليه باصحابهم

فبقي على ذلك اشهرًا حتى كثر عدد هؤلاء العملة وعلموا ما يكنّه قلب المرسل الفاضل من الحب لهم . فعرض عليهم انشاء اخوية منظمة يجتمع ذووها مرة في الاسبوع ليقيموا فرائض العبادة لمريم العذراء . فتبسط ام الله حمايتها عليهم وعلى افراد عيالهم . فرضوا بذلك ومن ثم نشأت اخوية العذراء لهؤلاء العملة واتخذ لهم مرشدهم الام الحزينة كشفيعة خاصة ليتقدسوا على مثالها اوجاعهم واتعابهم وينالوا من مراحمها النعم في بلاياهم

هكذا ابتدأ ذلك المشروع الخطير الذي جعله صاحب الترجمة في مقدمة كل همه نحو ٣٨ سنة ولم يزل يسعى في تحسينه وترقيته حتى اضحى من اجل الاعمال الرسولية التي تُعنى بها رسالتنا واجداها نفعًا لخلاص نفوس العمال كما سترى في الفصل الآتي بعد انتهائنا من خلاصة سيرة منشئهم البار

ولم يقصر الذكور نظره على ابناء اخويته بل كانت غيرته تعم الجميع بلا استثناء . وكان ذلك يظهر خصوصًا في استماعه اعترافات الخطأة فانه كان يفتح لهم قلبه كالمسيح سيده دون محاباة بالوجوه فيتقبل بكل لطف الصغار والكبار الاغنياء والفقراء بل كان قلبه يرق شفقة ويتطاير فرحًا اذا اتاه احد كبار المجرمين متذكرًا قول الرب من الفرح الذي يشمل ملائكة السماء بتوبة احد الخطأة فكان يثني على

قصده وينشط همتهُ ويسهل له الاقرار بخطاياه ويلقي عليهِ الاسئلة ليخفف عنهُ مؤونة فحص ضميرهِ . واذا اتمّ اقرارهُ نصحهُ بالنصائح الابويَّة وبيّن له كم هو خفيف نير الربّ وحفظ وصاياهُ ثم يرسم عليهِ قانوناً سهلاً ليعود ثانيةً الى طبيبهِ الروحي . وكثيراً ما كان يفرض على التائب بان يأتيهُ باحد اصحابه فيتخذهُ كوسيلة لارتداد غيرهِ من الأثمة . وقد عرفنا كثيرين من وجوه البلدة انفسهم الذين ما كانوا يجسُرون ان يكشفوا ضميرهم الى غير الاب يوحنا فيوروفتش

وكانت غيرتهُ تلك تتضاعف في ايام تفشّي الامراض الوبائيَّة حينما كان كثيرون من المتمولين يفرُّون هاربين فكان هذا الراعي الصالح يبذل نفسهُ في خدمة المصابين لاسيما في عدوى الهواء الاصفر التي ظهرت مرّتين في بيروت سنة ١٨٦٥ و١٨٧٥ وفتكت بالاهلين فتكاً ذريعاً فان الاب فيوروفتش درس هذا الداء درساً خصوصياً حتى يتسنّى له ان يساعد الفقراء في غيبة الاطباء . وقد كتب في ذلك رسالةً طُبعت في مطبعتنا اليسوعيَّة واتى علاجهُ بنتائج حسنة جداً . وكان في تلك الايام يقضي نهارهُ متنقلاً في احياء المدينة فيعود بعد الغرب عيّاً منهوك القوى . وكان يسير الى حيثما يطلبهُ المصابون فيهتمّ بالروح والجسد معاً وقد استدعاهُ غير الكاثوليك ايضاً كالروم والمسلمين واليهود فاجاب الى طلبتهم دون تريُّث وكان يوزّع عليهم الادوية مجّاناً . وقد ردَّ حينئذٍ الى الله كثيرين من الخطأة الذين تمادوا في الجهل حتى انهُ كان يقول : انَّ الهواء الاصفر خير المرسلين وافضلُ المنذرين . وكان هو يعرّض نفسهُ للموت في كلّ ساعة مع اخوته الرهبان فلم يُصَب منهم واحد بالوباء بنعمة خاصة من الله . وقد عرفت الحكومة الفرنسويَّة لهم فضلهم فاهدتهم اوسمةً شكراً على مروّتهم اما الاب فيوروفتش فاسرع وباع وسامهُ وانفق ثمنهُ على المحتاجين

ثمَّ رأى الاب يوحنا بؤساً آخر يستدعي همتهُ في بيروت فما كان منهُ الّا ان قصد تلطيفهُ نريد بؤس المحبوسين فانهُ تمكَّن برخصة ارباب الامر من زيارتهم فرأى كثيرين منهم في اسوإ الاحوال مادياً وادبياً فاخذ يتردَّد عليهم لاسيما في الاعياد الكبيرة ويرشدهم ويعزّيهم ويمنحهم الاسرار المقدَّسة ثمَّ شرع يستعطي لهم ويجمع الحسنات عند اهل الكرم فيوزّع عليهم الملابس والاطعمة والدراهم ويوصي بهم حرسهم . فكانوا يعدُّون يوم مجيئهِ اليهم كموسم عظيم . وعلى مثالهِ يجري اليوم خلفهُ

وكان في جوار بيروت معامل حرير يتوارد اليها العملة من لبنان في بعض فصول السنة فسأل الاب فيرورفتش اصحاب تلك المعامل ان يأذنوا له بإرشاد اولئك العملة مرّة او مرّتين في الاسبوع فوقع عمله احسن موقع لديهم اذ تحقّقوا ان العمّال يزيدون امانةً ونشاطاً على قدر ازدياد روح الدين في قلوبهم وكثيرون منهم قد اعتادوا مذ ذاك الحين الى يومنا ان يأتوا صباح الاحد الى كنيستنا فيتمّموا واجباتهم الدينيّة بكل تدقيق

ولمّا انتشر صيت الاب فيرورفتش في انحاء لبنان استدعاهُ الكهنة الى بعض القرى ليعطي الرياضات الروحيّة لاهلها فكان لكلامهِ مع بساطتهِ تأثير كبير في القلوب وقد سمعنا غير مرّة الذين حضروا رياضتهُ في دير القمر يثنون على غيرتهِ الرسوليّة ويذكرون عدد المرتدّين بواسطتهِ الى ممارسة الفرائض الدينيّة

وكان المترجم مع هذه الاعمال لا يحبُّ البطالة مطلقاً فاذا بقي له شيءٌ من الوقت صرفهُ في الكنيسة مستمرّاً بالصلاة امام القربان الاقدس او امام ايقونة العذراء. فكان الذي يشاهدهُ لا يتمالك عجباً من رقّة عبادتهِ. وكم كنّا نراهُ يتلو المسبحة او الفرض الالهيّ بتخشّع كان يؤثّر فينا ايَّ تأثير

وكان مرسلنا الغيور محبّاً للدرس فاذا انتهى من اشغالهِ الروحيّة انعكف على مطالعة كتب الآباء القديسين واللاهوتيين . وقد ابقى عدّة آثار تُعرب عن حصافة عقله وكثرة مطالعاته نخصّ منها بالذكر كتابهُ الواسع الفوائد المعنون بالكنيسة الجامعة الذي ألّفهُ مع حضرة الاب جرجس فرج صفير . وله ابحاث تاريخيّة ودينيّة واجتماعيّة ورسائل عديدة نُشر بعضها في فرنسة

فترى انَّ هذا الرجل الصالح تاجر بوزناته احسن المتاجرة ولم يحضر امام ديّانه صفر اليدين . وكان في السنين الاخيرة من حياته يتجرّد كلّ يوم عن هذا العالم الفاني ليعدّ نفسهُ لاستقبال خاتمه بالطمأنينة والثقة . واذ لحظ الرؤساء انحطاط قواهُ ارسلوهُ في اواسط الصيف السنة ١٨٩٨ الى ديرنا في بكفيا فثقلت عليه هناك وطأة المرض في اوائل شهر ايلول واذ ذاك اسرع الى طلب الاسرار الاخيرة فاقتبلها بكل تقى مصغياً الى صلوات الكنيسة وربّما كان يردّدها صارخاً : «ما اجل وما اسمى هذه الصلوات الملوءة عذوبة» . وبعد ان استغفر من الحضور عمّا يكون فرط منهُ

من النقائص شكر الله الذي منحهُ نعمة الدعوة الرهبانيَّة والكهنوتيَّة واوصى خلفهُ بابناء اخويَّتهِ وحضَّ الدارسين من الرهبان على الجدّ والنشاط في خدمة الله وخلاص القريب . ثم اسلم الروح الى بارئه بكل هدوءٍ في ٩ ايلول الموافق للاحد الاوَّل من الشهر الذي كان اختارهُ للمناولة العموميَّة في اخويَّته لاكرام قلب يسوع الاقدس

وما انتشر خبر منعاهُ حتى طلب اولادهُ الروحيُّون ان تُنقل جثتهُ الى بيروت فتُدفن في مدفن كليَّتنا قريباً منهم لكي يتذكَّروا وصاياهُ ويقتفوا بامثاله فكانت حفلة دفنه في كليَّتنا غاية في الرونق والتأثير اذ اقبل الى حضور جنازته كلّ الذين عرفوا فضلهُ ونالوا احسانهُ يعدّدون مآثرهُ ويبكونهُ كأعزّ الاقارب ولم يشاؤوا ان يُدفَن قبل ان يُفتح تابوتهُ ويتباركوا منهُ آخر مرَّة بتقبيل يدهِ الطاهرة

وفي الاحد التالي أعدَّت عمدة الاخويَّة جنازاً حافلاً لراحة نفسه فالبسوا الكنيسة لبس الحداد واقاموا له ضريحاً كسوهُ بعلامات الحزن . وكان كاتب هذه الاسطر قد دُعي لتأبين الفقيد فبنى كلامهُ على آية سفر الرؤيا (١٤: ١٣) : «طوبى للاموات الذين يموتون في الربّ . . . لأنَّ اعمالهم تتبعهم »

٢ اخويَّة الامّ الحزينة

سبق انَّ اخويَّة الامّ الحزينة كانت بكر اعمال الاب يوحنَّا فيرووقنش الرسوليَّة العموميَّة . وقد قرأنا في رسائله بل رأينا رأي العيان نظام تلك الشركة التقويَّة فيمكننا ان نروي عنها ما ثبتت لنا معرفتهُ

شرع الاب المذكور بتأليف هذه الاخويَّة سنة ١٨٦٣ حيث كانت الاحوال قد ضاقت في الجبل فنزل كثيرٌ من اللبنانيين الى بيروت طلباً للرزق كحمَّالين وبنَّائين وباعة وخدَّام واكثرهم لا يعرف من امور الدين الَّا القليل الزهيد ممَّا تعلَّموهُ في حجور أمَّهاتهم لقلَّة المدارس في ذاك الوقت . فلمَّا تمكَّن مرسلنا الغيور من جذب فئة منهم الى كنيستنا القديمة في حيّ الصيفي اختار بينهم اعظمهم نشاطاً وبعد امتحانهم مدَّةً جعلهم كعمدة الاخويَّة وعلَّق على صدورهم ايقونة العذراء الطاهرة . امَّا الطالبون الجدد فكان يقبلهم في درجة المبتدئين ويعيّن لهم احد المتقدّمين ليرشدهم ويعدّهم للانتظام بين الاخوة فاذا رآهم بعد اشهر مواظبين على رياضات الاخويَّة سالكين في سبيل الصلاح ادرجهم في سلك الاخوة بعد مصادقة المشورة على قبولهم

ولمّا نما عدد الاخوة حتى بلغ المئتين بل زاد على الالف اتّسع ايضاً مرشدهم في تمديد الوظائف وتوفير عدد الوكلاء. فجعل لكلّ حيّ من احياء المدينة ناظرًا او اكثر يفيدونه عن احوال الاخوة وحسن سلوكهم وحاجاتهم وامراضهم فيقف بذلك على امورهم ويسدّ كلّ خلل يطرأ

امّا الاجتماعات العموميّة فعيّن لها ظهر الاحد والعملة في ذلك اليوم منقطعون عن الشغل. فكانوا اذا حان الوقت وسمعوا الناقوس يجتمعون في الكنيسة فيقضون ثلث الساعة في استماع قوانين الاخويّة ومختصر التعليم المسيحيّ مع صورة فحص الضمير ثمّ يتلون اخصّ الصلوات التي يجب على المؤمن ان يعرفها . وكان المرشد قد تفنّن بوضع هذه الرياضات فتعود بالتوبة مرّة بالشهر فقط فلا يحصل من تكرارها السأم

ثمّ كان المرشد يرقى المنبر فيخطب فيهم نصف ساعة في بعض حقائق الدين والمعتقدات او في وصايا الله والكنيسة والادبيّات . وكان كلام الاب فيرروفتش مع عجمته مسموعاً يُصغي اليه الجمهور بشوق لأنّ الاب كان يخطب كرجل ذي سلطة وبصوت جهور كثير التفنّن في نغماته وكان يحسن الحركات الخطابيّة حتى انّها مرارًا كانت ادلّ على المقصود من لهجته الغريبة . وقد تمكّن بارشاداته الى ان يطبع في قلوب سامعيه ايمانًا حيًّا كان يظهر في كلّ تصرّفهم مع عيالهم وقريبهم

وممّا سعى به ليزيد رغبة الاخوة في الاخويّة انشاؤه لجوقة موسيقيّة كانت تشنّف آذان السامعين بقدودها المطربة فتزيد الحفلات الدينيّة بهاء وجلالاً وقت زيّاح القربان الاقدس او بركة صورة العذراء في اثر العظة . وقد عانى العناء الكثير في تنظيم هذه النوبة وحفظها لأنّه رآها وسيلةً عظيمة لزيادة رونق الاخويّة

وحدّد للاخويّة في السنة رياضتين الواحدة في اوّل الخريف اذ يعود المصطافون من الجبل الى اشغالهم السنويّة فتدوم خمسة عشر يوماً يجتمع في مدّتها الاخوة بعد غروب الشمس بنصف الساعة . والاخرى في الجمعة السابقة لجمعة الآلام اتّخذها كاستعداد لاتمام الفرض الفصحيّ وكان يدعو للرياضتين كلّ العملة سواء كانوا من الاخوة او لا . ولا يسعنا ان نصف ما اتت به هذه الرياضات من الخير بين العموم فانّ

اثمارها الروحيّة لا يفي بهـا احصاء. كما اقرّ به كلّ من حضرها ورأى اقبال الجمهور عليها

وكان الاب المرشد قـد استحضر لهذه الغاية صورًا كبيرة مُلوَّنة بالوان ناصعة كان ينيرها في آخر المواعظ واذا هي مختصر ارشادات الرياضة قد رسم فيها عواقب الانسان من موت ودينونة وجحيم ونعيم مع الخطايا الرئيسيّة وغير ذلك ممّا كان يشرحهُ للحضور في آخر كلامهِ قبل بركة الختام . وكان المرسلون اخوتهُ اذا ساروا الى مكان لرياضة اخذوا معهم تلـك الصور وهم يدعونها مزحًا «بأبالسة الاب فيوروفنتش» . ومن عجيب مـا جرى من امرها انَّ الاب منصور نورمان رئيس رسالتنا سابقًا كان اخذها معهُ الى حوران لجعلها في اسطوانة من التنك فخرج عليهِ العربان يريدون سلب امتعتهِ فما وجد لينجو منهم غير تلك الاسطوانة فصوّبها عليهم فظنّوها مدفعًا وولّوا هاربين فكان الاب منصور يقول متفكّهًا: «قد نجوتُ بفضل شياطين الاب فيوروفنتش

وكان الاب يوحنّا يحبّ الحفلات الدينيّة التي من شأنها ان تعظّم الديانة في اعين الشعب . فمن ذلك حفلة عيد شفيعة الاخويّة اي الأمّ الحزينة في الاحد الثالث من شهر ايلول فكان الاخوة يطوفون في احواش كلّيتنا يتقدَّمون بانتظام امام صورة سيّدة الاوجاع والنوبة تـدقّ نغماتها الشجيّة وهم يتغنّون بالاناشيد والترنيمات على ايقاع الصنوج ويصلّون لشفيعتهم . وكان قد استحضر لهذا الطواف عددًا وافرًا من الرايات الملوّنة والبيارق المثلّثة للعذراء مريم وغيرها من القديسين يحملها المتوظّفون او اولاد المدارس وكانت تُختم هذه الحفلة بطلبة الام الحزينة عند الهيكل الجميل الذي كان اقامهُ المرشـد لذكرها وهناك تمثال بديع لامّ الله حاملةً في حجرها جسم ابنها الطاهر لمّا أُنزل عن الصليب

واعظم من هـذه الحفلة موكب الاخوة في الاحد التابع لعيد القربان الاقدس اكرامًا لسرّ جسد الربّ فانَّ مرشدهم لم يدَّخر يومئذٍ وسعًا ليجعل ذاك الطواف في غاية الأبهة والرونق فكان يدعو ليترأسهُ نيافة القاصد الرسولي او احد ارباب الاكليروس مع عدد عديد من الكهنة فيُحمَل القربان الاقدس بالجلال اللائق بشأنه يتقدَّمهُ نحو الالفين من الحضور ماشـين بانتظام والخشوع صارخين كالجموع يوم دخول المسيح

الى اورشليم : «هوشعنا مبارك الآتي باسم الرب» . فكان هذا المنظر يؤثر جدًّا في كل من يشاهده . وكان هذا الطواف في السنين الاولى يسير من ديرنا العتيق الى حيث اليوم محلّة المدوّر لولا انّ قلّة احترام بعض الاشقياء اوجب حصره في ضمن ديرنا

وكان للاخوية مواسم اخرى يظهر المنتمون اليها في مجالي افراحهم كرسم تجديد الانتخابات السنويّة وكعيد رأس السنة اذ يقدّمون لرؤساء الكلّيّة تهاني الاخوة واعضاؤها يسترقون ايضًا الانظار في جنازة الاخوة فانّهم اذا مات احدهم اجتمع كثيرون منهم عند جثته وصلّوا عليه مع مرشدهم وشيّعوه باحتفال الى مقامه الاخير فتصير بحضورهم طلمة الفقير شبيهة بطلمة الغنيّ بل اوقع في القلوب اذ ليس هناك جاه عالي او فخفخة

ومعلوم انّ اخويّة مثل هذه اكثر تبعتها من المساكين او الرقيقي الحال تحتاج الى مصاريف بالغة لمساعدة من ينكبهم الدهر فلا يملكون طعام ليلة او يلقيهم المرض على فراش الألم فليس من يعودهم ويلطّف اوجاعهم . وكان الاب فيوروفنش اخذ على نفسه ان يسعف هؤلاء البائسين ولكن كيف يمكنه الامر وهو راهب فقير ليس له ثروة يستمدّ منها . لكنّ الجنة تذلّل كلّ المصاعب فجعل مرشد الاخويّة لا يدع بابًا الّا طرقه ليحنّن قلوب الاغنياء على الفقراء فيتبرّعوا عليه بشيء من مالهم . ثمّ اخذ يكتب الرسائل الى الجمعيات الخيريّة في فرنسة والى رؤساء رهبانيته ويستعطف كلّ من عرفه من ذوي الجود والكرم فامكنه ان يجمع ما يكفيه غالبًا في كل سنة لمساعدة المنكوبين اعني نحو عشرة الاف فرش . وكان يودّه ان يذخر لهم رأس مال يقوّم عليهم ريعه لكنّه لم يتوفّق لرغبته هذه ولعلّ الله لم يشأ ان يحمل الاب فتقته بذلك المال المحجوز فيكون اتكاله على الله وحده الذي يقيت طيور السماء ولم يدع شمرة من رأس عبيده تسقط دون اذنه فصحّ فيهم قول النبيّ (مز ٣٦ : ٢٥) : «لم ار صدّيقًا مخذولًا ولا ذرّيةً له تلتمس خبزًا»

وان سأل السائل وهل يُعرف عدد الذين انضمّوا الى اخويّة الامّ الحزينة . اجبنا انّ سجلّات هذه الشركة تحتوي منذ اولها الى اليوم نحو عشرة آلاف اسم . وهو لعمري عدد بليغ ينطق بفضل منشئ هذا المشروع الصالح ووفرة ثماره في النفوس

الملحقات باخويّة الام الحزينة

على انَّ العدد الآنف ذكرهُ لا يشمل المشروعات اللاحقة باخويّة الامّ الحزينة التي امتدَّ خيرها الى نفوس كثيرة من اعضائها وغيرهم ايضاً وها نحن نذكر ذلك بالاجمال. ومن هذه المشروعات ما قام بهِ خلفاء الاب فيرورقتش

يعود الفضل الى هذه الشركة انها كانت مثالًا لاخويّات أُخرى أُنشئت على شكلها في انحاء مختلفة وكان الساعون في ذلك غالباً من اعضاء اخويّة الامّ الحزينة اذ كانوا ينتقلون الى امكنة شتّى في لبنان او في بعض مدن السواحل حتى في اميركة فيها فكانوا يتّفقون مع كهنة تلك الجهات فينشئون شركات على منوالها

ومن فضلها ايضاً عبادات صالحة ألفها رجال التقى فنالوا بركاتها. اخصّها عبادة قلب يسوع الاقدس فان الاب فيرورقتش حبّب الى ابناء اخويتهِ اكرام ذاك القلب المضطرم حبّاً للبشر فجعل فوق مذبح الامّ الحزينة صورة هذا القلب الالهي كما ظهر للطوباويّة مرغريتا مريم ليزيد نظرهُ في قلوب الفقراء خصوصاً

فلتحقيق امنيّته هذه كان يدعو ابناء الاخويّة في صباح الجمعة الاولى من كلّ شهر الى حضور الذبيحة الالهيّة والتقرّب من سرّ القربان الاقدس فكانوا يجيبون الى دعوتهِ بطيب الخاطر امّا الذين كانت تحكم عليهم الاشغال بالتبكير في عملهم فانهم كانوا يستعيضون عن ذاك اليوم بالاحد الاوّل من الشهر فيتناولون فيهِ الاسرار لاكرام قلب الربّ والتكفير عن مآثم البشر

ثمّ انّ الاب فيرورقتش رأى بعد ذلك ما هو اولى وافضل فانّهُ دعا اربعين من ابناء الاخويّة ليقضوا ليلهم في ديوان كليّتنا فكانوا يتناوبون في السجود للقربان الاقدس المعروض في ليلة الخميس الى الجمعة الاولى من الشهر في كنيستنا فيحيون تلك الليلة صلاةً وتسبيحاً ساجدين خمسةً خمسةً مدّةَ ساعة تامّة. فهذه العبادة المنشأة قبل ثلاثين سنة لا تزال جاريةً حتى اليوم فتستمطر نعم الخالق على المدينة وتردّ غضبهُ عن آثام اهلها. ثمّ الحق بهذه العبادة عبادةً اخرى للصليب المقدّس باقامة رياضة درب الصليب في كلّ مساء الجمعة من اسابيع السنة يقيمونها في كنيستنا

ولعلّ الاب يوحنّا اراد ان يطبع في قلوب اولادهِ ذكر آلام السيّد المسيح اذ عمد سنة ١٨٦٨ ان يؤلف فئة من الزوّار لاورشليم والامكنة المقدّسة . فعرض

عليهم الامر ولم يطلب من كلّ واحد منهم لسفرهم بحرًا وبرًّا ومعاشهم مدّة خمسة عشر يوماً ألّا خمسين قرشاً · فنال هـذا المشروع حظوى لدى العملة فكان يجتمع منهم كلّ سنـة ستّون شخصاً يتولّى المرشد قيادتهم وتدبيرهم والعناية بهم روحاً وجسداً فيدخلون القدس الشريف بموكب حافل وخشوع تامّ يتلون الورديّة اثنين اثنين او يرتّلون التراتيل التقويّة وفي مقدّمتهم زعيمهم الفاضل كأنّهُ قائد جيش ظافر فيخرج اهل اورشليم لمعاينة هؤلاء الوفود ويرافقهم النصارى الى كنيسة القيامة حيث يتباركون بالزيارة الاولى للقبر المقدّس

وكانوا يقيمون في القدس اسبوعاً كاملاً يضيفهم الآباء الفرنسيسيّون في منزلهم فيستمدّون مدّة ثلاثة ايام بالدروس وتنقية الضمير للمناولة العموميّة ثمّ يتنقّلون الى كلّ الزيارات التي في المدينـة ولا يحلّون في مكان الّا أعطوا لمن يشاهدهم قدوة صالحة · ثمّ كانوا اذا انتهوا من زيارة القدس يذهبون الى بيت لحم والى عين كارم بالنظام عينه فيتحقّق بهم اهاليها ويثنون على ورعهم وايمانهم · وكانوا اذا رجعوا الى وطنهم لا يلهجون الّا بنعمة تلك الزيارة شاكرين فضل مرشدهم الذي احظاهم بها · وقد عاد الاب فيرورقتش مـدّة عشرين سنة الى زيارة القدس مع قومهِ فانعش بذلك في قلوب مواطنينا ذكر تلك الامكنة التي يقدم كثيرون من الاجانب الى التبرّك برؤيتها ويكاد يجهلها القريبون منها · على انّهُ قد لقي بعد ذلك في سبيلهِ من العوائق بسبب جوازات السفر وغيرها ما احوجهُ الى ايقافها · وخلفهُ اليوم حضرة الاب ديد مصمّم العزم على استئنافها قريباً ان شاء الله

وليست هذه المشروعات وحدها ناجمةً عن اخويّة الامّ الحزينة بل ألحقوا بها اعمالًا أخرى لا ينكر فضلها منها جمعيّة الشبّان تحت حماية القديس لويس غنزاغا التي يسعى اعضاؤها المنتمون الى اخويّة العملة بالمحافظة على كلّ الآداب الصالحة والسيرة المسيحيّة ثمّ يجهدون نفسهم في الاهتمام بصغار الصنعة واهل الحرف الذين لا يسعهم غالباً ان يتربّوا في المدارس · وهؤلاء الشبّان يبلغ عددهم الاربعين

أمّا الاحداث الذين يُعتنى بامرهم فعددهم يتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ يجتمعون كلّ يوم احد بعد اخويّة الرجال في مدارس حيّ الدحداح فيقضي الشبّان مدّةً من زمانهم في نظارتهم ويساعدهم في عملهم البرور تلامذة مدرستنا الكليّة من

اكليريكيين وعلمانيين الـذين يلقنونهم الصلوات ويشرحون لهم التعليم المسيحي ليتأهبوا للمناولة الاولى. ويتخذون عدّة وسائل لجذبهم الى هذه الاجتماعات بأن يوزعوا عليهم ثياباً واطعمةً والعاباً واذا حان وقت مناولتهم الاولى ألبسوهم اللابس البيضاء. واقاموا لهم الحفلات الشائقة فينشأ هؤلاء الاحداث على دوح الدين ويصونون نفوسهم في الطهارة والتقى. وربّما اعتنوا باهل حرفة واحدة فجمعوهم وهذّبوهم وارشدوهم الى المعيشة المسيحيّة كما فعلوا مع صبّغة الاحذية (اولاد البويا) وغيرهم فأتت كلّ هذه الاعمال بالنتائج المرغوبة المبهجة لقلب امنا الكنيسة

فترى من تعداد هذه المشروعات الطيّبة انّ اخويّة العملة لم تُخب أمل منشئها بل اتت بأثمار تضاهي رجاء الكنيسة المقدّسة فيها فيحقّ لها في ختام هذه السنين الخمسين ان ترفع الى الله شكرها الحميم على ما انعم به عليها وان بدا منها تقصير في شيء فهي تطلب منهُ تعالى ان يفسح لها الاجل كي تستدرك وتتلافاهُ عمّا قليل باضعاف همّتها في سبيل الخير

ثم انها لا تنسى كلّ الذين آزروها في العمل فتستمدّ لنشئها الطيب الذكر ان يجزل الله لهُ الثواب في دار البقاء. وتلتمس لخلفيهِ من بعدهِ حضرة الاب ادوار ميشال الذي افرغ مجهودهُ في ادارتها مدَّة ١٨ سنة ثم حضرة الاب ديد مرشدها الحالي وحضرة مساعديها الخوري يوحنا طنوس والخوري بطرس فرج ان ينقلوا زمناً طويلاً كرم ربّ البيت قبل ان ينالوا جزاء اتعابهم في منازل الابرار. كما انها تشكر كلّ المحسنين اليها في حاجاتها المادّيّة والادبيّة وتتوسّل الى الله بان يثيبهم على احسانهم منة ضعف

واذ هي تتأهب لتدخل في طور جديد من حياتها تتمنّى لكل من إنضوى اليها ومشى تحت رأيتها ان يجعلوا نصب عينهم الغاية الشريفة التي أُنشئت لاجلها اعني خلاص نفوسهم بثباتهم في ايمان اجدادهم وممارستهم كل الفضائل الجديرة بابناء ملكة السماء في حياتهم الفرديّة والعائليّة والاجتماعيّة ثمّ اجتهادهم بان يكونوا لقريبهم كالاسرجة المنيرة الوقّادة يستضيئون بها لمعرفة الصلاح فينهجوا على مثالهم سُبُل البرّ وينالوا وأيّاهم جزاء العبد الصالح المؤتمن على الكثير بعد ثبوت امانته على القليل

الحَجْر الشرعيّ

بقلم جناب المحامي القانوني انطون بك شحيبر

من هم المحجورون

يتصوَّر الكثير ان المرء حرٌّ على الاطلاق بماله وملكه يتصرَّف فيهما كيفما شاء واراد . بيد انَّ الشرائع والقوانين لم تطلق هـــذه الحرّية بل جعلتها قيد ظروف خصيصة وشرائط معلومة اذا فُقدت اصبح الانسانُ مقيَّدًا في تصرُّفاته وصار امرهُ فيها الى غيره من حاكم ووليٍ ودائنٍ ووصيّ

اجل متى كان الانسان بالغًا رشيدًا عاقلًا حصيفًا نبيهاً مدركاً مميِّزًا حسن التدبير بريء الذمة مقتدرًا على ادراك الحقّ والقيام بالواجب فهو الحرُّ بماله وملكه يتصرَّف فيهما تصرُّفًا شرعيًا يطابق ارادته . والَّا اي اذا كان صغيرًا لا يميّز او مجنونًا لا يعي او معتوهاً قليل الفهم فاســد التدبير او سفيهاً مبذرًا متبع الاهواء او مديونًا يهتضم حقوق الغير فيُحجَر اي يُمنع من تصرُّفاته القولية . والمراد هنـــا بالمنع من «التصرف القولي» عدم اعتبار العقود التي يعقدها المحجور (بعد الحجر لا قبلهُ)

فالحَجر اذًا هو : «مَنع شخصٍ مخصوص من تصرّفهِ القولي» في مـــا يملكهُ من دينٍ وعينٍ ونقدٍ وعقارٍ الخ» ويقال لذلك الشخص بعد الحَجر «محجور» . مثلًا ان من يصرف مالهُ في غــير موضعه ويغفل في اخذهِ واعطائهِ ويتبع الهوى ويبذر المال في الشرب والفسق والميسر فهو ممَّن يوجب الشرع حجرهم في ظروفٍ معيَّنة . وكذلك يُحجَرُ من كان فاســد التدبير حتى في الامور الخيرية كالرجل الذي يحرم عيالهُ الأكل واللبس والمسكن ولوازم التربيــة لكي ينفق «جميعَ» مالهِ في سبيل بناء المسجد فمثل هذا يجيزُ الشرع منعهُ من تصرّفهِ القولي

فاذا تدبرتَ مـــا مرَّ بك من الالماع وضح لديك ان الشرع والقانون أوجبا او اجازا منع فريق من الناس عن التصرّف واولئك هم المحجورون واليك بيانهم

ان المحجورين هم :

الصغير
والمجنون } : وهؤلاء محجورون لذاتهم اي بدون ان يصدر حكم الحاكم بوجوب حجرهم
والمعتوه
والسفيه : ولا يُحجَرُ الّا بحكم الحاكم
والمديون : ولا يُحجرُ الّا بحكم الحاكم مبنيًّا على طلب الغرماء اي ارباب دينهِ (١

وها نحن مبيّنون هويّة كل منهم :

١ الصغير

﴿ الصغير ﴾ ويُقسم الصغير الى صغير غير مميّز وصغير مميّز . فالصغير غير المميّز هو الذي لا يفهمُ البيع والشراء ولا يعلم كون البيع سالبًا للملكية والشراء جالبًا لها ولا يفرق بين الغَبْن الفاحش الظاهر كالتغرير في العشرة خمسة وبين الغَبْن اليسير . واماَّ الصغير المميّز فهو الذي يميّز هذه المذكورات . وقد سبق القول ان الصغير مميّزًا كان او غير مميّز انّما هو محجور لذاتهِ اي ممنوعٌ عن تصرّفه القوليّ لمجرّد كونهِ صغيرًا اي بدون حاجة الى حجر الحاكم بحيث انه ان عقد عقدًا كالبيع والشراء او تعهّد بامر كالكفالة فلا يُعتبَرَ عقدُه ولا يُعمَل بتعهّدهِ . على انهُ لا بدّ من التصريح انّ الصغير غير المميّز إن تصرّف فيُعتبَرُ تصرّفهُ اذا كان في حقّهِ نفعٌ محض (وان لم يؤذن به وليّهُ) . مثلًا لو قبل الصغير هديةً او هبةً فتصرّفهُ هذا معتبرٌ ولو لم يُجِزْهُ الوليّ . ولا يعتبر تصرّفهُ الذي هو في حقّهِ ضررٌ محض (وان كان ذلك التصرّف بإجازة الولي) . مثلًا لو وهب الصغير شيئًا لآخر باجازة وليّهِ فلا يعتبرُ هذا التصرّف

امّا في العقود الدائرة بين النفع والضرر في الاصل كالبيع مثلًا فان كانت تلك العقود صادرة من صغير (غير مميّز) فلا اعتبار لها (اجازها الوليّ او لم يُجِزْها) واماَّ ان كانت صادرةً من صغير مميّز فيكون اعتبارها موقوفًا على إجازة الوليّ بحيث ان رآها مقيّدةً بحقّ الصغير اجازها والّا فلا . حتى ان الصبي المميّز لو باعَ مالَهُ بدون

---

١) ان مَن أُريد حجرهُ من طرف الحاكم لا يشترط حضورهُ لديهِ بل يصحّ حجرهُ غيابًا ولكن يُشترط وصول الخبر اليهِ والى ان يصلهُ خبر الحجر تكون عقودهُ واقاريرهُ معتبرة

اجازة وليه ولو بضعف القيمة فلا ينفذ بيعه ولا يقال ان في هذا البيع نفعاً ظاهراً فينبغي ان ينفذ بلا اجازة

وقد يحدث ان الصغير (المميز) تظهر عليه امارات الرشد قبل الاوان . ففي مثل هذه الحال يجوز للولي ان يسلّمهُ مقداراً من ماله (من مال الصغير) ويأذن لهُ بالتجارة لاجل التجربة فان تحقق الوليُّ رشدَهُ (اي رشد الصغير) دفعَ اليه باقي امواله واجاز له التجارة على ان اذن الولي لا يتخصصُ بزمان ومكان ولا بنوع من البيع والشراء بحيث ان الوليَّ لو اذن الصغير (المميز) شهراً يكون مأذوناً على الاطلاق ويبقى مستمراً على ذلك الاذن وكذلك لو قال له : « اذنتُكَ ان تبيع وتشتري في بيروت » يكون مأذوناً في كل مكان . وايضاً لو قال له : « اذنتك ان تبيع وتشتري الصوف والحرير » كان لهُ ان يبيع ويشتري ايَّ مالٍ كان . وتكون حينئذٍ تصرّفات الصغير المميز في الخصوصات الداخلة تحت الأذن معتبرة لانه يكون بمنزلة البالغ

ولكن لو تبيَّن للولي (بعد الاذن) ان الصغير يتصرّف بغير رشد فلهُ ان يحجرهُ ويبطل الاذن . بيد ان هذا الحجر يجب ان يكون معلوماً بمثل الوجه الذي صدر بهِ الاذن وذلك صيانةً لحقوق المتعاملين مع الصغير . مثلاً لو كان الولي اذن الصغير بصورةٍ علنيَّة فعرفَ العموم انهُ مأذون واخذوا يتعاطون معهُ ويعتبرون تصرُّفاتهِ القولية فلا يجوز للولي ان يحجرهُ بمحضر رجلين او ثلاثة في دارهِ بل يجب عليه ان يحجرهُ حجراً عاماً معلوماً لدى العموم — واعلم ان الولي ان اذنَ الصغير المميز ثمَّ مات (الولي) فيبطلُ الاذن بموتهِ بحيث ان جميع العقود التي يعقدها الصغير (المميز) بعد وفاة وليه الذي اذنه تكون غير معتبرة

وقد يحدث ان الصغير (المميز) يأنس من نفسهِ الرشد ويلحظ انهُ يستفيد من تصرّفهِ فيطلبُ من وليهِ ان يأذنه فيمتنعُ الولي عن اجابة طلبه فحينئذٍ يحقُّ للحاكم ان يأذن ذلك الصغير اذا رأى في تصرّفهِ منفعةً وليس للولي الآخر ان يحجر على الصغير بعد ذلك حتى اذا ماتَ ذلك الحاكم فليس للوليّ ان يحجرَ على الصغير بعد موتهِ بيد ان للحاكم نفسهِ او لمن خلفهُ ان يحجرَ على الصغير بعد ما اذنهُ إن تبيَّن لهُ ان تصرُّفاته من غير رشد

ومعلومٌ ان الانسان اذا بلغ ورشد فلا يُعتبر حينئذٍ صغيراً ولا يكون من ثمَّ محجوراً بل يجب ان يُعطى جميع امواله لكنَّما يُستحسن ان يُجرَّب بالتأني فان تحقق كونه رشيداً تُدفع اليه حينئذٍ امواله والّا فلا. وذلك لان البلوغ وحده لا يكفي لاعطاء الصبي امواله بل يجب ان يكون بالغاً ورشيداً معاً . وبناء عليه فلو اعطى الوصيُّ الصغير مالهُ (قبل رشده) فضاع المالُ في يد الصغير او اتلفهُ كان الوصيُّ ضامناً اي انهُ يُجبَر على اعطاء بدل ذلك المال الضائع من مال نفسهِ . وقد يحدث ان يستثبتَ بلوغ الصبي ورشده فيدفع اليه امواله لكنه يلحظ بعد ذلك انه سفيه فحينئذٍ يُحجرُ عليه من قبل الحاكم بسبب السفه لا الصغر

في البلوغ والرشد

بقي ان نعلم امرا هاماً وهو في اي سنّ يُعتبر الصغير بالغاً في نظر الشرع

ان حدّ البلوغ يُثبَت ببعض الدلائل الطبيعية المعروفة التي لا محلَّ هنا لذكرها على ان مبدأ سنّ البلوغ في الرجل اثنا عشرة سنة وفي المرأة تسع سنين ومنتهاهُ في كليهما خمس عشرة سنة بحيث انه إذا ادرك الانسان السنة الخامسة عشرة من عمره يُعتبَر بالغاً حكماً ولو لم تظهر فيه اثار البلوغ الطبيعية — واماً اذا ادرك العمرَ الذي هو من تسع سنوات في البنت ومن اثنتي عشرة سنة في الرجل الى خمس عشرة سنة في كليهما وظهرت فيه اثار البلوغ فيُعدُّ بالغاً واذا ادرك هذا العمر (اي من ٩ الى ١٢ او من ١٢ الى ١٥ كما مرَّ) ولم تظهر آثار البلوغ فهو المراهق وهي المراهقة. (ومعنى المراهق القريب من البلوغ) — واذا اقرَّ المراهق في حضور الحاكم ببلوغه فان كانت جثتهُ تتحمل البلوغ ولم يكذّبه ظاهر الحال يصدَّق وتكون عقوده وتقاريره نافذة ومعتبرة والّا فلا. على انَّه اذا اقرَّ بذلك مرةً امام الحاكم فلا يصح له الرجوع عن اقراره بل يؤاخذ به وفقاً للقضايا الشرعية . اما الصغير الذي لم يدرك مبدأ سن البلوغ (٩ سنوات للانثى و ١٢ سنة للذكر) فانه اذا ادعى البلوغ لا يُقبل ادعاؤهُ ولا تسمع دعواهُ به

فاذا راجعت ما مرَّ بك تبيَّن لك ان الصغير ينقسم الى

صغير غير مميّز
صغير مميّز

مُراهق
بالغ غير رشيد

وقد تقدّم البيان عن وصف كل من هـذه الحالات . على ان الانسان اذا بلغ ورشد فهو حرٌ غير محجور من تصرّفاته القولية ما لم يكن في حالة الجنون او العته او السفه او الدين كما سيأتي الكلام

٣ الجنون

الجنون فنون على ما قالت الامثال لكنّ الشرع يقسّمه الى قسمين: الجنون المُطبق والجنون غير المطبق. فالاول ما كان في حالة مستمرّة غير منقطعة بحيث انه يستوعب جميع اوقات المجنون. واماً الثاني فهو ما كان لا يستوعب جميع اوقات المجنون بحيث ان صاحب هذا الجنون (غـير المطبق) يكون في بعض الاوقات مجنوناً ويفيق في بعضها

فالجنون المُطبق هو في حكم الصغير غير المميّز فكلُّ ما قلناهُ عن هذا الصغير (غير المميّز) ينطبق على المجنون المُطبق. بناء عليه لا يجوز من تصرّفاته القولية الّا ما كان في حقّه نفعٌ كقبول الهديّة والهبة . واماً ما كان في حقّهِ ضرر محضٌ فلا يعتبر تصرّفه فيه وان اجازه وليّهُ . — ومـا دار بين النفع والضرر فيحتاج تصرّفه فيه الى اجازة الوليّ . الى آخر ما اوردناه في باب الصغير غير المميّز

والجنون غير المطبق له حالتان: الاولى ان يفارقهُ عارض الجنون في وقت افاقته بالكلية . وفي مثل هذه الحالة تُعتبر تصرّفات المجنون غـير المطبق كتصرّفات العاقل . والثانية ان يبقى من عارض جنونه ناقص العقـل قليل التدبير . وفي مثل هذه الحالة يكون في حكم الصغير المميّز كما شرحنا عن هذا ايضاً آنفاً

واذا تدبّرتَ ما سبق تبيّنَ لك ان المجنون ينقسم الى: ١ً مجنون مطبق . (وحكمهُ كحكم الصغير غير المميّز) . ٢ً مجنون غير مطبق يفارقهُ الجنون بالكلية عند افاقته . (حكمهُ عند الافاقة كحكم العاقل) . ٣ً مجنون غير مطبق يبقى عند افاقته ناقص العقل (حكمهُ حكم الصغير المميّز)

ولا حاجة الى القول ان المجنون (مطبقاً كان ام غـير مطبق) اذا شُفيَ من جنونه وثبت ذلك يفكّ عنهُ الحجرُ ويُعتبر تصرّفه كتصرّف العاقل

٣ المعتوه

قد اختلف اهل الشرع في تفسير (المعتوه) على ان أوجه ما قيل فيه انه من كان قليل الفهم مختلط الكلام فاسد التدبير الا انه لا يضرب ولا يشتم كما يفعله المجنون وقد حددت المجلة المعتوه بقولها انه « هو الذي اختل شعوره بحيث يكون فهمه قليلا وكلامه مختلطا وتدبيره فاسدا » . وهو محجور لذاته كما تقدم القول . — وأما من جهة الحجر فهو (اي المعتوه) في حكم الصغير المميز فكل ما قلناه سابقا عنه (اي الصغير المميز) ينطبق على من كان معتوها

٤ السفه

السفه (على ما في الدر المختار) « تبذير المال وتضييعه على خلاف مقتضى الشرع والعقل ولو في الخير » . فالسفيه اذاً هو العامل بخلاف موجب الشرع واتباع الهوى ومن عادته التبذير والاسراف في النفقة وان يتصرف تصرفات لا لغرض او لغرض لا يعده العقلاء من اهل الديانة غرضاً مثل دفع المال الى المغنين واللعابين واهل الخلاعة والغبن في التجارات من غير محمدة . وتبذير المال كما يكون (في الشر) ان يجمع اهل الشرب والفسق في داره ويطعمهم ويسقيهم ويسرف في النفقة ويفتح باب الجائزة والعطاء عليهم يمكن ايضاً وقوعه (وفي الخير) بان يصرف جميع ماله في بناء المسجد

فما تقدم تعلم ان من يصرف ماله في غير موضعه ويبذر في مصاريفه ويضيع امواله ومن يغفل في الاخذ والعطاء ولم يعرف طريق تجارته وتمتعه بحسب بلاهته وخلو قلبه يعد سفيها ويحجر عليه . — على ان الفقهاء قد اختلفوا في حجر السفيه فمنهم من قال انه محجور بنفس السفه ولا يتوقف على القضاء ومنهم من قال انه لا يثبت الا بقضاء القاضي . وقد اختارت جمعية المجلة هذا الرأي الاخير فقالت في المادة ٩٥٨ منها : « للحاكم ان يحجر على السفيه » ومتى حجر على السفيه من طرف الحاكم يشهر هذا الحجر على الناس مع بيان سببه ويعم هذا الحجر جميع اموال السفيه واعلم ان الفاسق اذا بذر وأسرف في ماله فانه يعد ايضاً سفيهاً ويحجر

اما في المعاملات فان السفيه المحجور كالصغير المميز ولكنه يختلف عنه بمسائل : منها ان ولي السفيه الحاكم فقط وليس لابيه وجده واوصيائه حق الولاية عليه

ومنها ان تصرّف الوصي في مال الصبي جائز وفي مال السفيه المحجور باطلٌ. ومنها ان السفيه المحجور اذا اوصى بوصيّة جازت من ثلث ماله واما الصبي فلا تجوز وصيّتهُ. ومنها ان عقد زواج السفيه المحجور وطلاقه جائزٌ ومن الصبي باطل. وممّا قاله الفقها، ان السفيه المحجور اذا باع او اشترى نظر القاضي في ذلك فما كان خيرًا اجازهُ وما كان فيه مضرة ردّهُ.

ثمّ ان النفقات اللازمة للسفيه المحجور ولمن تلزمهُ نفقتهم (اي نفقاته ونفقات عياله) انما تؤخذ من ماله.

واعلم ان السفيه المحجور لا يكون بيعه نافذًا الّا اذا اجازهُ الحاكم لمنفعة يراها فيه كما انه لا يصح اقرارهُ (اي إقرار السفيه) بدين لآخر مطلقًا يعني ان ليس لاقراره تأثير في حق اموالهِ الموجودة في وقت الحجر والحادثة بعدهُ غير ان ذلك لا يؤثر في حقوق الغير الشرعية بحيث انه اذا ترتّبت عليه حقوق الناس فانها تؤدّى من امواله. وكذلك اذا استقرض دراهم وصرفها في نفقته فان قد صرفها بالمعروف اداها الحاكم من ماله وان كان قد صرف زائدًا عن القدر المعروف يؤدي مقدار نفقته ويبطل الزائد منها. وذلك لان القصد من حجر السفيه ان لا يبدد مالهُ جزافًا فان استدان لضرورة لا خوف على مال الدائن من الضياع وان استدان لاسراف ضاع مال الدائن لانه خاطر بماله اذ يكون اعطى لسفيه محجور اعلن الحاكم حجرهُ للناس. هذا وان السفيه المحجور يبقى تحت حكم الحجر الى ان يكتسب صلاحًا وعندئذ يفك الحاكم حجرهُ ويعلن الفك للناس. والمراد بذلك انه لا يكفي لاجل رفع الحجر صلاح السفيه ورشدهُ بل يقتضي ان يثبت الصلاح والرشد لدى الحاكم وان يحكم به ويذيع حكمهُ بين الناس

المدينون

معلوم ان المدين من في ذمّته مالٌ للغير والدَين في نظر الفلسفة الاجتماعية والاقتصادية تيسيرٌ في وقت الضائقة وتسهيل في المعاملات والمبادلات البشرية من تجارية وصناعية وزراعية وغيرها بحيث لا يمكن الاستغناء عنه لدى جميع الامم ولاسيما الامم الراقية. فلو امتنع الدَين لوقفت الحركة العمرانية والاقتصادية وتأثرت الحياة الفرديّة والقومية. فهذا الفلاح الزارع قد نقب ارضهُ وفلحها وزرعها وبذل في هذا

السبيل كلّ ما كان لديه من النقود وبينما كان يرقب بذاهب الصبر زمن الحصاد ليستغلّ ثمرة اتعابه احتاج الى مبلغ من المال اما للقيام بأوده واود عياله واما لوقاية الزرع من الهلاك واما للامرين معاً فاذا يفعل وهو صفر اليدين فلا سبيل له الا ان يستدين المال على قصد الايفاء آن الحصاد . — وكذلك الصانع قد ابتاع المواد الاولية واعدّ الادوات اللازمة للعمل وشرع في صُنع السلع وقبل انجازها احتاج الى النفقة على نفسه وعلى مساعديه فيعمد الى الاستدانة تسهيلاً لاموره وتيسيراً لمشغله . — وكذلك التاجر الذي رأس ماله الفٌ يستطيع بفضل الدين ان يتاجر بما قيمته عشرون الفاً فتتوفّر لديه الارباح يتمتع بها هو ومعاونوه بتجارته . فلو بطل الدين لانحصرت موارد الارتزاق ضمن دائرة ضيّقة جداً لذلك كان من الواجب ان تُبذل جميع الوسائل الممكنة لحمل اصحاب الاموال النقدية على عدم ابطال الإدانة . فبعض المشترعين قد اجازوا للدائن ان ينتفع بجزءٍ من ارباح الديون المقدَّرة مع الضمان وسمّوا ذلك فائدة او فايضاً او مرابحة وما ذلك الا تشويقاً للمتموّل كي يمدّ اصحاب العمل بماله

وليس هنا محل البحث بذلك بل نقول ان الشرع عندنا قد وضع جملة وسائل مرجعها تأمين الدائن على دينه منها الرهن والبيع بالوفاء وبالاستغلال والكفالة ومنها ايضاً « حَجْر المديون » وهو ما نبحث فيه الآن . وهو انه اذا لحظ الغرماء (اي ارباب الدين) ان مديونهم افلس اي ان الدين الذي في ذمّته اصبح مساوياً لماله او زائداً عنه او اذا خاف اولئك الغرماء ان يُضيع مديونهم مالهُ بالتجارة او ان يخفيه او ان يجعله باسم غيره فلهم ان يراجعوا الحاكم بذلك ويطلبوا اليه ان يحجرهُ وعندئذٍ للحاكم ان يحجرهُ بطلبهم وان يشهر ذلك على الناس وذلك كله على قاعدة ان يتحمّل الضرر الخاصّ دفعاً للضرر العامّ . فاذا تدبرتَ ذلك وضح لديك انه لاجل حجر المديون يجب ان يكون (المديون) مفلساً (بالتعريف السابق ذكرهُ) وان يكون ذلك الحجر مبنياً على طلب الغرماء وصادراً من طرف الحاكم وان يشهر الحكم على الناس

وهنا مسألة فيها نظر وهي انه اذا طلب الغرماء حجر المديون فالحاكم ينظرُ في الامر فان كان المديون مقتدراً لكنه يمتنع عن اداء الدين مماطلةً حينئذٍ حجر الحاكم

مالهُ وباعهُ وادّى دينهُ مبتدئاً بما بيعهُ اهون في حق المدين وذلك بتقديم النقود فالعُروض فالعقار. وان كان مفلساً حجرَ الحاكم الدين (كما رأيت في تعريف الحجر) اي منعهُ من التصرف بمالهِ وعن الاقرار بدين جديد لاخر الخ. ثم يبيع امواله ويقسمها بين الغرماء، تاركاً لهُ ما كان ضرورياً من اللباس والمسكن بالنسبة الى حاله بحيث ان كان لهُ ثياب ثمينة باعها واشترى لهُ من ثمنها ثياباً رخيصة تليق بحاله وان كانت لهُ دارٌ يمكن الاكتفاء بدونها باعها ايضاً واشترى مسكناً لائقاً بحاله واعطى الزائد للغرماء. واماً لو كان لا يمكن الاكتفاء بدون ما للمدين من الملبس والمسكن ابقاهما القاضي لهُ ومثل ذلك قل عن سائر موجوداته البيتيَّة

وطالما المفلس محجور فيُنفَق عليه وعلى عياله من ماله

والحجر على المفلس المدين يشمل كلَّ ما ملكه قبل الحجر ولكنهُ لا يشمل ما ملكه بعد الحجر

وليس للمفلس المدين المحجور ان يأتي عملاً يؤدي الى ابطال حق دائنه. وعلى ذلك فلا يسوغ لهُ ان يتبرع او يهب او يتصدَّق او يبيع مالاً انقص من ثمن مثله وبالجملة فان عقوده (المضرَّة) بحقوق الغرماء في حق امواله الموجودة وقت الحجر انما هي باطلة ولكنها تُعتبر في حق امواله التي اكتسبها بعد الحجر. واماً اقراره بدين فلا يُعتبر بحق لامواله الموجودة آن الحجر ولكن ذلك الاقرار ينفذ على ان يؤدي المقرّ به مما يكتسب بعد الحجر

ملاحظة:

ان ما اوردناهُ عن حجر المدين انما هو بموجب الاصول الفقهية الشرعية. اماً القانون فقد وضع بابَ الحجز (في قانون اصول المحاكمات الحقوقية) وبابَ الافلاس (في قانون التجارة) وضمَّن البابين المذكورين ايضاحات اقتضتها الاحوال العصرية. على ان من تأمل باب الحجر الشرعي الذي اتينا على بيانه في هذه المقالة وقابلهُ بما جاء في بابي الحجز والافلاس من القانون يندهش اذ يرى الشرع قد استدرك قبل اجيال امورًا دقيقة لم يأتها القانون الاّ بعد اختبار طويل

رسالة مكسيموس الحكيم

عُني بنشرها حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

توطئة

ما كاد يرتقي سلبسترس القبرسي سدَّة البطريركية الانطاكية حتى اثار جذوة الاضطهاد على الشعب الكاثوليكي وبذل اقصى جهدهِ وعنايتهِ في ان يستأصل منهُ العقيدة الكاثوليكية فتفنَّن ما شاء التفنن واتى ما تفتقت لهُ فكرتهُ من ضروب الحيل والقسوة في عود قومهِ الى الشقاق حتى ظنَّ جيلٌ اهل القرن الثامن عشر ان الكثوليكية كادت تُمحى من صدور ابناء الطائفة الملكية الكريمة لولا الله العزيز يتداركها بلطفٍ من علائهِ ويسدّد خطاها ويشدّد عزائمها في ذلك المعترك الهائل والاضطراب المستدّ الصدى

وفي سنة ١٧٢٥ اصدر هذا البطريرك خلاصة ايمان ضمَّنها « انكار القضايا المس وفاعلية الكلام الربَّاني في الاسرار » . وحمل الناس على تلاوتها وكل من ابى الاعتقاد بما فيها دفعهُ ليد القضاء حتى غصَّت السجون باولئك الاشراف الاماجد وهبَّ حينئذٍ العلَّامة عبدالله زاخر الى تفنيدها بكتاب سماهُ « البرهان اليقين على فساد ايمان المشاقين » واضطرَّ بعدهُ ملكية حلب الى تأليف « اخوية لنصرة الايمان الكاثوليكي » من « رؤساء ومتقدمين . ورؤساء عشرات كلهم متَّصفون بالغيرة نحو نصرة الايمان المقدس منهم عشرة انفار رؤوس على الجميع » انتهى بعضهُ عمَّا رواهُ مؤرخو الرهبانية الشويرية الجليلة

وقد كن يترتب على كل فرد من هذه الاخوية ان يتلو « صورة الايمان الكاثوليكي » دلالةً على اقرارهِ بهِ وقد نشر هذه الصورة حضرة الاب لويس شيخو في مشرقهِ الاغرّ (١٥ : ٦٥٧ وما يليها) فعارضهُ حضرة الخوري قسطنطين الباشا في نسبتها الى عبدالله زاخر مدعياً انها من تأليف مؤسس الرهبانيَّة المخلّصية المطران افتيميوس الصيفي (المشرق ١٦ : ١٠٦) على ان ما اعتمد عليهِ حضرتهُ فيما ارى لا يسند مدَّعاهُ ولا ينفي كل اعتراض عنهُ . . . ولعل صاحب المشرق الفاضل يعثر في المخطوط الذي اخذ منهُ « صورة الايمان » على قوانين تلك الاخوية (١ وهي اذا وجدت فيهِ لا تخلو من اشارة الى تلاوة تلك الصورة او الخلاصة الكاثوليكية

ولا ريب في ان هذه الاخوية قد بلغت ما تمنَّتهُ من الانتشار والازدهار بفضل عناية الحبر الاروع الخطير المطران مكسيموس الحكيم وقد وجّه اليها في سنة ١٧٣٣ رسالة ضافية اثنى فيها على نشاطها وغيرتها وحضّها على مواصلة اعمالها وملازمة الثبات في منهاجها القويم واكثر لها فيها من عبارات التجلّد والتعزية على ما تحملهُ افرادها من ضروب المشاقّ والمتاعب في سبيل نصرة

١) لم نجد هذه القوانين في المخطوط المذكور (المشرق)

الايمان الكاثوليكي . وهذه الرسالة الجليلة تدلّ على ما كان عليهِ ذلك الحبر العظيم من الرسوخ في التقى وسائر الفضائل السامية والتشبّع من الوحي وآيات الاسفار المقدسة ولعلي اعود في فرصة اخرى الى نشر ما اتصل بي من اعماله ومحامده ان شاء الله

(٢٥) من مكسيموس مطرانكم وخادمكم الى الرعية المقدسة الاخوية الكاثوليكية . جزيل البركات السموية والارضية

انهُ لمن الواجب ان يتبع الاجناد قائدهم وان (٢١) يتشبه الجيش بالاتقياء من معسكرهم . وفي هذا اوصى الرسول المؤمنين ان يتشبهوا به كما تشبّه هو بالمسيح . وانهُ لمستحبٌ ومستحسن ان يتذكر الجيش في معركة الكفاح الحالة التي سلكها قائدهم واسلافهم لكي يسلكوها هم ايضاً كونها هي الحالة المستقيمة التي توصل تابعيها الى الغلبة باعدائهم . فمثل هذا التذكار هو حميد ومفيد جداً لنا الآن نحن المحاربين ضرورة في ميدان هذه الهيجاء . لانهُ اذ قد تحقّقنا بحقيقة الايمان ان الله قد اختارنا بسيدنا يسوع المسيح الذي جعله لنا رأساً ورئيساً ابدياً يدوم معنا بشخص نائبه الحبر الاعظم ذي الرئاسة المطلقة . وصيَّرنا به جسداً مقدساً منتظماً في كنيسته التي هي أمنا كلنا واشركنا باعضائه المختارة الذين شاركوا آلامهُ وسأَلنا اخوتهُ واخوة بعضنا بعض (٢٢) وبموجب هذا الاستحقاق العظيم الذي خصّصنا به الهنا الجواد بيسوع المسيح ربنا وقائدنا . وقد اعدَّ لنا حيوةً ابدية سعيدة ان نحن قفونا اثرهُ وتبعنا اثر خطواته . فيا ما اعظم حظّنا واسعدهُ ان نحن سلكنا هذه الطريق الضيقة الامينة التي سلكها قائدنا الحقيقي يسوع المسيح مخلصنا . وقد تبعهُ بها اسلافنا في ميدان الجهاد المقدس والآن قد حظوا به متكلّلين

فلننظر الان ايها الاخوة المحاربون كيف كانت حيوة قائدنا . وفي اي حالة تقضّت وما هي الطريق التي سلكها بها . فمن المعلوم ان جميعكم تجيبون بما شهد به الانجيليون انهُ تعالى اتى لكي يقبل الآلام . واذا تصفّحنا حالات حياته فاننا نراها قد تقضّت بفقر مدعق (مدقع) مذيب واتعاب مختلفة متزايدة وغربة مديدة متطاولة واضطهاد شديد مقلق وافتراء محض مزعج (٢٣) وضيقات متنوعة متتابعة وآلام موجعة قتّالة واخيراً انتهت بموت شنيع مهين جداً . فهذا بعضُ البعض من المتاعب

التي عاناها معلمنا وقائدنا في طريق حياته المقدسة . وبهذا غلب العالم والقى اركونه الى الخارج وقام غالباً ظافرًا بمجد ربوبي

هكذا اخوتنا الاتقياء ارباب هذا الجيش المقدَّس الذين جاهدوا المهالك بصبر وشهامة . وقد اجازوا كل حياتهم وهم ساعون على الرجاء المكين واحتملوا المذلات الفادحة والميتات المشوهة تبعاً لقائدهم لكي يماثلوا حياتهم بحياته . واخبارهم تشهد لهم على ما صابروهُ من الاتعاب الشاقة والاوجاع الناكية . وبمثل هذه الحال المؤلمة المحتقرة قد حصلوا غالبين وصاروا فائزين وقهروا اعداءهم الذين هم الجسد والعالم والشيطان . والآن هم في السماء مكلَّلون مع سيدهم (24) الذي غلب وجلس على كرسي ابيه . ووعد لكل من يغلب ان يجلسهُ معهُ على ذلك الكرسي الذي هو المجد الابدي

كذلك امنا الكنيسة المحاربة ايضاً قد تجاهد مقابل المضطهدين دائماً وتقاوم ظلمهم وكفرهم وتحاربهم بتعاليمها المستقيمة . وقد طردت الذئاب المفسدة بصبر مقدَّس وقطعت بكلمة الحق كلَّ باطلهم وهذيانهم . ومع ذلك كانت تتفداهم (تتفادهم) وترشدهم وتقبل الضالة منهم بفرح وهشاشة . ولم تزل مستعدةً لمحاربة العالم واراكنته الى استقبال الراجعين اليها لانها امٌ حقيقيَّة . ومن شيمها الترقي والاحتمال وطرد المضلّ والضال . وبهذا تربي اولادها وتظفر غالبةً بين محاربيها كما فعلت ولم تزل فاعلةً

فها هوذا يا اخوتي قد اوردتُ لمحبتكم مختصر (25) الحالات التي قضى بها حياتهُ قائدنا واخوتنا الاتقياء . وها قد اوضحتُ بايجاز الطريق التي سلكوها والغاية التي حصلت لهم منها . ولمَّا كنَّا نحن معهم جيشاً واحدًا في حضن امنا الكنيسة الجامعة المتحدون (متحدين) بها بايماننا العامّ المقدس وصرنا اعضاء هذا الجسد الوحيد المبتاع بالدم الكريم وحصل يسوع المسيح رأسنا وقائدنا . فقد لزمنا ان نتألم معهُ لكي نملك معهُ كما فعل اخوتنا الذين تقدمونا . ومن الواجب ان تتألم الاعضاء مع رأسها وتحارب معهُ لكي تظفر بظفره وحينئذٍ تملك معهُ . ولهذا يقول الرسول الالهي (٢ كور ١ : ٧) : ان كنتم شركاء الآلام فستكونون شركاء المجد ايضاً » .
فهكذا يجب علينا ان نتذكر حيوة مخلصنا الذي هو رأس ايماننا . ونتبع اثر خطواته

في الجهاد المنصوب لنا . وغائل القديسين الذين تقدمونا . لان « كل الذين (26) يعيشون بتديُّن به سيُضطهدون » (٢ طيموتاوس ٣ : ١٢)

وقد سمعت بما حركهُ عليكم الاعداء الذين يريدون يَرْأسوكم ويتسلطوا عليكم لا لكي يفيدوكم بتعليمهم ومثلهم حقائق الايمان والاعمال الصالحة بل لكي ينتقموا منكم ويظلموكم وينشّوكم ويقدموكم الى الحكام والولاة تقدمة ظالمة ويسلبوا اموالكم ويتلفوا دياناتكم ان قدروا . والذي سبق من اعمالهم يعلمنا بما هو عتيد ان يفعلوهُ

وقد بلغني ايضاً ما اظهرتموهُ من الشجاعة المقدسة والغيرة المسيحية اللائقة بابناء الكنيسة الحقيقيين الذين يحمون عرض أمّهم . اعني حرية الايمان الكاثوليكي المستقيم وهذا من الواجب ان يُفضّل على خيرات العالم باسرها حتى وعلى هذه الحياة ايضاً . وقد سرَّني هذا الاضطهاد الجديد الذي تقدّم به لله مجداً واكراماً (27) وللكنيسة شرفاً وبهاء وللقديسين سروراً وابتهاجاً وللمؤمنين تمكيناً وثباتاً وللشياطين خزياً وعذاباً وللاعداء توبيخاً وعاراً . حقّاً يا اخوتي اني لما تأملت مثل هذه الخيرات المعتبرة عندي لعظم قيمتها الجزيلة جداً سُررت مغتبطاً واشتهيت ان اكون حاضراً معكم بجسدي كما انا حاضر عندكم بروحي لكي اشترك بمثل هذا الشرف الرفيع . الّا ان الله قد رأى لنا رأينا افضل صواباً حيث لم يرد ان اكون عندكم لئلّا يثقل عليكم امري . ولكن في هذا كفاية لتعزيتي ومسرّتي ان اسمع عنكم بانكم مجاهدون ومستعدّون للجهاد ايضاً . وهذا الفرح المقدس قد فعل بي فعلاً هذا حدهُ حتى اني فرحت ايضاً بخسارة الاموال التي أُصرفت بمثل هذا الجهاد الحسن . لاني سمعت الرسول الطوباوي يمدح الذين صبروا على اختلاس اموالهم بفرح (28) . ولهذا انا امدحكم ايضاً لانكم دفعتم اموالكم فدية عن ايمانكم بفرح . ولتعلم محبتكم باوكد الايقان انهُ قد حصل لكم بدفع هذه الاموال اجراً عظيماً (اجرٌ عظيم) اعظم من الذي يعمّر كنيسة في هذه البلدة . لان هذه الاموال قد أُعطيت لاجل ثبات الايمان وعمارة الكنيسة المتفقة التي هي جماعة المؤمنين بالمسيح واعضاء جسدهِ المقدس . ومن المعلوم ان عمارة المؤمنين لأفضل

شرفاً من عمارة مجامع المؤمنين. لان هذه غايةٌ وتلك واسطة لهذه. والغاية اجلُّ واعظم من الواسطة بأضعاف

فلهذا سرُّوا ايها الاخوة المكرمون بالخير الذي انشأهُ الله بكم واقامة بجهادكم. ولا تحزنوا لاجل تلاف (تَلَف) الاموال الزائلة التي لا بدَّ لنا ان نتركها وتتركنا هي ايضاً ثم يتسلمها غيرنا ويتلفها وربما في طريق غير صالحة. بل ابتهجوا واجذلوا (29) بالخيرات الراهنة التي سيعطيناها ربنا يسوع المسيح اذا غلبنا كما غلبَ. فلنجاهدنَّ اذاً بطمأنينةٍ ولنسعَ بهذه الطريق المستقيمة المؤدّية الى حيوة الابد. ولا نشفقنَّ على شيءٍ ارضيٍّ بل نشفق على مخلّصنا الذي سفك دمهُ لاجلنا وهو يطلبنا اليه لكي نتبع اثر خطواتهِ ساعين في هذه الطريق التي هيأها لنا بهذه الايام منَّةً جليلة منهُ تعالى. لانهُ يعلم كل شيء ويعلم بالذي هو انفع لخلاصنا ويدبرهُ بمشيئة صالحة. فلنتقبلهُ نحن بشكر وارتضاء ونجدُّ في طلبه بفرح واجتهاد ساعين في الجهاد المنصوب لنا منهُ لمنفعتنا وربح الخلاص الابدي

ولنسلكنَّ هذه السبيل القصيرة ونحن حاملون عارهُ بافتخار متدين عالمين انهُ بهذا يرضى بنا وعلينا. وان شاء فانهُ يغنينا ولئن كنّا فقراء. وان سمح فانهُ يفقرنا ولو كنا اغنياء. وقد نرى مثال (30) هذا بأعيننا كل يوم ونعرفهُ جيداً. ولقد نعلم ان الله العادل قد دبَّر هكذا وهو ان الناس اغنياء قد اجتهدوا ان يحموا مالهم بديانتهم واتلفوها خوفاً على مالهم. فاعماهم الله واتلفوهما كليهما. وقد خسروا الدنيا والاخرى معاً

فاعتبروا بمثل هؤلاء الذين ليس لهم همٌّ واهتمام الَّا بما هو ارضيٌّ. ويختصّ بالتدبير العالمي فقط فمثل هذا الاهتمام الرديّ الذي يسمّونهُ هؤلاء تدبيراً ليس هو تدبيراً بل إدبارًا ودَمارًا. وهو رأي الناس الاشرار خدَّام هذا العالم الباطل الكذّاب لا المسيح. اما انتم يا اولادي الاحباء فلا تهتمّوا بالعالم ولا فيما للعالم الخدَّاع بل اهتموا فيما للرب الصالح الصادق في مواعيده ووعيدهِ واجتهدوا في حماية الايمان الكاثوليكي المستقيم الذي بدونهِ لا يرى احد ربَّنا يسوع المسيح (31) ولستعدُّوا لمحاربة اعدائهِ دائماً بنيَّةٍ مستقيمة صالحة. كونوا حكماء في تصرفكم الجيد لا بروح العالم المضلّ بل بروح المحبة والاخلاص بروح الفطنة والشجاعة بروح

النيّة والسلامة الباطنة كونوا حكماء مع الخارجين عنكم وودعاء مع بعضكم بعضاً وروح الرب يحلّ فيكم ويرشدكم في كل عمل صالح . لا تخافوا الاشرار بل خافوا الرب وحده وتمسّكوا بإيمانه تمسكاً حسناً واحفظوا وصاياه حفظاً جيداً. وهو يرد اعداءكم على اعقابهم ناكصين ويضاعف عليكم الخيرات الروحية والجسدية . وانا ابتهل اليه تعالى في شأن ثباتكم وتمكينكم وان يكون معكم وينميكم ويكثركم ويرشدكم حافظاً (لكم) في الطريق المستقيمة المؤدية الى حياة الابد . حيث قائدنا واخوتنا المجاهدون امين

(32) سلموا على كل اخ بالمسيح من الكهنة والعوام شركاء ايماننا المستقيم. يسلّم عليكم اخينا (اخونا) الخوري نيقولاوس الرئيس الكريم . وكل جماعة الرهبان الاتقياء. مع ولدنا الشماس عبدالله التقي . وكل الذين عندنا يقرأونكم السلام. والنعمة والبركة مع جميعكم امين

سُطرت بدير ماري الياس النبي (بقرية المحيدثة من ناحية المتن بلبنان) في اليوم الـ ١٤ من شهر آب سنة ١٧٣٣ م

خاتمة

وهي المرّة الاولى التي يُنشر فيها شيء من رسائل المطران مكسيموس وقد ظفرت بنسخة منها بخط شماس لاونديوس سالم الحلبي فهو ادعى الى الثقة به والاعتماد عليها لانهُ نقلها فيما يظهر عن نسخة مؤلفها الجليل والنسخة حسنة الخط تقع في ٣٩٦ صفحة من القطع الثمن الصغير. والرسالة جليلة القدر جزيلة الفوائد لما حوته من آيات التعازي والمراشد ومؤلفها الحكيم كاتب عارف باصول اللغة العربية وما فيها من الهفوات لا سيما في تعدية بعض الافعال واستعمال بعض الالفاظ مغتفر له اذا علم المطالع قصور يد كاتبها في عهده عن الوصول الى وسائل التدقيق المتوفرة في هذا العصر

واما « الاضطهاد الجديد » الذي اشار اليه في خلال الرسالة فهو ان سلبسترس السابق الذكر كان ارسل الى حلب بعد رحيله عنها وكيلاً عنهُ راهباً يدعى « حبيب الاعور » في ٢٠ تموز سنة ١٧٣٣ فنهضت الفئة الكاثوليكية او « الاخوية الكاثوليكية » الى مقاومته حتى تمكنت من طرده وإغلاق الكنيسة في وجوههم بعد ان انفقت على ذلك ثمانية آلاف وخمس مئة غرش وهي تعادل خمسة واربعين الف فرنك من النقود الدارجة اليوم

وكان سلبسترس هذا اعاد حلب الى ولايته البطريركية بأمر سلطاني في اواسط سنة ١٧٣٢

بعد ان خلصت منها رهنة سلطانها الجائرة بخط سلطاني ايضاً في مناوي سنة ١٧٣٠ فلما تمكنت الفئة الكاثوليكية من إبعاد ابن الامور فصلت حلب من سلبسترس في سنة ١٧٣٦ وادعها الى عهدة مكسيموس مؤلف الرسالة المشروحة بتوسط والي حلب وقاضيها فعاد اليها راعيها الحكيم في سنة ١٧٣٦ بعد ان قضى في لبنان ثلث سنين وقد انفقت هذه الفئة على ذلك سبعة الاف وخمس مئة غرش وهي تساوي اربعين الف فرنك من نقود اليوم

فيكون جملة ما انفقتهُ ٢٥٠٠ ليرة فرنسوية وهو بعض ما تكبدتهُ من الخسائر والمغارم في سبيل الايمان الكاثوليكي جزاها الله جزاء الخير وخير الجزاء

واما اللذين اشار المطران اليهما في آخر رسالته فهما الخوري نقولا الصائغ والشماس عبدالله زاخر انالهم الله وبلّ ثراهم بوابل الرحمة والرضوان انهُ سبحانهُ اللطيف الكريم

المناعة

محاضرة لجناب الدكتور حبيب افندي الدرعوني القاها في ندوة جمعيّة الاطباء والصيادلة في غرّة نيسان

المناعة مسئلةٌ حيويّة صعبة المراس كثيرة التشعُّب لم تزل وقفاً على البحث ولن تزال كذلك ما دامت في حيّز الحدس والافتراض من حيث تعليلها واستجلاء خفاياها والسبب ان مجهولات جمّة تعترض الباحثين في حلّها وكلّما كُشف عن واحدة تقوّض شيء من بناء النظريّة المعوَّل عليها في شرح المناعة وتعريف اعمالها . فاذ ذاك تقتضي الحال تشييدَ نظريّة جديدة تنطبق على المعلومات الحديثة التي فاز بها العلم على يد العلماء الدائبين في استخراج مكنونات البيولوجيا

والبرهان ان شارحي المناعة ذهبوا في شروحهم ونظرياتهم مذاهب شتى ليس لي في هذه الوقفة ان آتي عليها كلّها بل انني اقطع بكم كل هذه المراحل المهجورة على قطار سريع فلا نقف حتى نَلج المحطّة الكبرى اعني بها نظريّة العلّامة إهرليخ (Dr Ehrlich) وهي التي استهوت طِلاع هذه المباحث وأرضت شروحها جماعة المتثبّتين من حقيقة المناعة وحركة آلاتها

لمّا شاعت هذه النظرية كتبتُ في تعريفها مقالًا مسهباً في مجلة المشرق سنة ١٩٠٠ (٣ : ٦١٧) فيكون قد مضى عليها اثنتا عشرة سنة وهي صابرة على محكّ الانتقاد واليها المرجع في فهم المناعة وادراك عملها . وكنت في كل هذه الفترة أتعقّب كلَّ شاردةٍ من هذه المسألة فأعيها وأبحث عن المعلومات المستحدثة في هذا الصدد فأعلّقها عليها الى ان أعلنَ الدكتور ريشه (Dr Richet) بوقوع الاانافيلَكسيا وهي عكسُ المناعة كما تعلمون فدرست تفصيلها ونشرت السنة الماضية في مجلة المشرق ذاتها مقالةً في خواصّها العجيبة (١٥ : ١٢٣)

كتبت هذين المقالين ولم يدُرْ في خلدي ان سيأتي يومٌ تتوالى الاكتشافات البيولوجية وتنجلي بعض غوامضها فيلوح لنا ان هذين المظهرين المناعة وعكسها ينشأانِ من اصل واحدٍ وانهما فرعان نبتا على أرومةٍ واحدة غير ان كلًّا منهما أخذ وجهةً مخالفة للآخر فأصبحا متماكسَيْن في مفعولهما . كقولك الإباء والكبرياء فكلاهما عاطفةٌ نفسانية تولّدت عن ترفع في النفس فكانت خلّةً حسنةً في الإباء وصارت نقيصةً لمّا أضحت كبرياء . ومثلهما البخل والاقتصاد فان منشأهما حبّ الاحتفاظ بالمال الّا ان هذا الميل عيبٌ في البخل وفضيلة في الاقتصاد . وعلى هذا النحو تجري المناعة والاانافيلَكسيا

ولكن قبل تفصيل هذا الرأي الجديد الذي يرجع شيوعهُ الى عهد قريب بل ايّام قليلة وينير منعطفات المناعة بانوارٍ علميةٍ جديدة تبدّد ظُلماتها وتكشف معمياتها رأيت من الضروري ان أُجملَ لكم نظريّةَ الدكتور اهرليخ في المناعة لان نسبتها الى الرأي الجديد الذي سأشرحهُ كنسبة القاعدة الى البناء او نسبة البناء الى حاجاته وكمالاته

من المعلوم ان في كل خليّة من خلايا الحيوان مادّةً أولى هي ركن تكوين تلك الخليّة يسمونها بروتوبلاسما اي الجرثومة الاصليّة او النطفة الاولى (راجع الصفحة ١٦١) وفي كل برثومة توجد عناصرُ من دأبها ان تجتذب اليها الموادّ المغذية السائرة في الدم فتخزنها وتأتلفَ بها ائتلافاً شديداً . فقد شوهد مثلًا ان السكّرَ موجود في البروتوبلاسما ليس محلولًا بل متحدًا اتحادًا لا تفصلهُ الّا الحوامض

الكيماوية. وعلى هذا المنوال يعتبر اهرليخ في البروتوبلاسما عناصر اخرى تحصل بينها وبين المادة السامة المدعوة بالتوكسين (toxine) الموجودة في الدم مجاذبة شديدة وقد دعاها بالسلاسل الجنبية (chaînes latérales) ثم افترض لها طرفين الواحد متصل بالبروتوبلاسما وسماه حامل السم (toxophore) والطرف الثاني سائب بشكل كلاب سماه حامل الكلاب (haptophore) وعنده ان السلاسل الجنبية اذا شمت رائحة التوكسين في الدم تسعى اليه حتى تلتصق به وتمسكه بواسطة كلابها. واذا تم هذا الاندغام تصبح السلاسل الجنبية معطلة اي غير صالحة للقيام باعمالها الطبيعية فلا تعود تجتذب المواد الغذائية لان مواد التوكسين متى علقت بها لازمتها مدة طويلة

فلا بد اذ ذاك ان سلاسل جديدة تخلف السلاسل المعطلة حتى تقوم بعمل الغذاء وذلك ما يتم فعلاً جرياً على ناموس ڤيدكرت (Vidkert) القائل بان الطبيعة سخية في هباتها وترد المفقود اضعافاً اضعافاً. فاذا حصل ذلك وأُشبعت تلك السلاسل الجديدة بالتكاسين تعود تتعطل بدورها ثم تخلفها سلاسل جديدة غيرها ويستمر التعطيل والتجديد على هذا النمط حتى يتفاقم عدد السلاسل في الخلية الواحدة فيصبح ثقلاً وعبئاً عليها فتضطر الى ان تقذف بعضها وتدفعها الى مجرى الدم فتسير فيه سائبة. وقد تستمر في حالة انفصالها على نفس العمل الذي كانت تعمله حين كانت متصلة بأصلها اي انها تلتهم التكاسين التي تألفها طبعاً حيثما صادفتها في الدم وبهذه الطريقة تقوم المناعة في الجسم لان السلاسل السائبة تروح وتغدو في مجاري الدم وتكمن للتكاسين التي تسبح فيه فتقبضها وتحتفظ عليها اللهم اذا كانت تلك التكاسين من ذات الجنس الذي كان علة توليدها ولهذا السبب سموها انتيتوكسين اي مضادة التوكسين

تلك خلاصة نظر اهرليخ في المناعة وفضله فيه انه عدل بكليته عن الاراء التي تقدمت فنسب علة المناعة الى مبدإ حيوي عامل بينما كانت آراء من سبقه تحصر تعليلها في فعل الامتزاجات الكيماوية فكأني به قد شيد نصباً للمناعة على قاعدة علمية واعطاه شكله ورسم فيه اعضاءه ومثل رأسه ولكن ملامح ذلك التمثال بقيت مطموسة مدة من الزمن حتى جاء نوابغ الباحثين فاجالوا ازاميلهم

في ذلك الوجه المطموس وحفروا المتغرات وصقلوا النواتئ فظهرت الملامح ونمّت الى المتأملين بها عن هوية الشخص الذي قصدوا تجلية.

ان المناعة حسرت من وجهها وبان محياها لنا ان فصّلت الاختبارات ما قد اجمله امرليخ فاعلمتنا مثلاً ان ما يسميه امرليخ بالسلاسل الجنبية انما هي مجموع مواد كالملصقات (agglutinines) والمحلّلات (lysines) التي لكل منها دورٌ خاص في ايجاد المناعة او إحداث الانافلكسيا . فضلاً عن ان هذه القبسات العلمية الحديثة اصبحت حقائق محسوسة يمكننا استخراجها وفرزها ودرس خواصها كما سنبيّن

قلنا ان المناعة مسئلة كثيرة التشعب . انما يسهل علينا ادراك هذا المظهر العجيب اذا اعتبرنا انّ بين البدن والعوامل المرَضية جهاداً متواصلاً وان هذا الجهاد جارٍ على خطةٍ حربية نظامية بديعة الترتيب فهناك القلاع المنيعة تقاوم العدو وتثبت في وجههِ على قدر طاقتها وان غُلبت على أمرها زحف حماتها لملاقاته والاحاطة بهِ فتفتك بهِ وتصدّه حتى تنال الغلبة او يقوى هو عليها فيتمّ له الظفر . أما القلاع الثابتة فهي مجموع الخلايا المكوِّنة لانسجة البدن على اختلافها واما الحامية فهي تلك الخلايا السائبة السابحة في مجاري الدم اعني بها الكُرَيات البيضاء التي تُعين على الجراثيم المرَضية وتمدّ يد المساعدة الى الخلايا لكي تاخذ بناصرها وتُقصي عنها تلك الجراثيم الدخيلة

واذ تقرَّر هذا التشبيه وهو في الواقع حقيقة الحال لننظر كيف يتمّ هذا العمل :

انّ الخلايا الثابتة في مواضعها والخلايا السائبة وهي كُرَيات الدم البيضاء (leucocytes) تعمل سويّةً على ابادة الجراثيم المرضية بابتلاعها فان فازت بهذه المهمة ساقتها غنيمةً باردة والتهمتها او دفعتها الى مخزن المواد المهضومة برسم التمثيل . امّا اذا كثُرت تلك الجراثيم من انيابها وافضى الامر الى النزال والاقتتال فلا غروَ ان الخلايا — اذا قُدّر لها الفوز — لا تخرج من هذه المصادمة الاوقد لحق بها ضررٌ ونالها تعطيل

امّا السموم المهاجمة فثلاثة انواع : نوع ضعيفٌ ذليل بطيء التحليل فيتمّ

هضمه تدريجاً ويُفرَزُ الى الخارج بهدءٍ ومن دون حركةٍ مرَضية

ونوعٌ اشدُّ من الاول وافرزُ مادةً او اقرب تحليلاً فهذا لا يتمُّ دفعهُ الى الخارج الّا مرفوقاً بانفعالٍ موضعي او عمومي تختلف درجة شدّتهِ

ونوع غاية في الشدّة والوفرة ينحلُّ تركيبهُ الكيماوي بغتةً فيحصل منهُ انفجار السمّ بعد هضمهِ بكميّةٍ غزيرة فيقتل الجهاز البدني ويبيدهُ

فينتج مما تقدم ان الانفعال الحاصل من الجرثومة المرضيَّة الداخلة في الجسم يكون بنسبة كميّتها وماهيّتها. ومقياسُ شدتهِ يدلُّ على درجة التأثر اللاحق بالبدن في سياق عراكهِ ضدّ المرض. وهذا الانفعال — بقطع النظر عن كميات الجراثيم وماهياتها—قد يختلف شدةً او ليناً حسبما يكون حصل بينه وبين المرض نزالٌ سابقٌ او كانت تلك اول واقعةٍ التقيا بها. فمن ثمَّ امّا ان يكون الانفعال خفيفاً فيقولون انّ هناك مناعةً او انه يكون في إبّان التأثر والشدة فتكون منه الانافيلكسيا اي عكس المناعة

اما إحداث هذه الاعراض الانفعاليّة فليس محصوراً بتوكسين الميكروب حسبما جاء في نظرية اهرليخ بل يوجد موادّ كثيرة كالميكروبات الميتة ونفايات الخلايا والموادّ الزلالية وغيرها التي تثير انفعالاً في الجسم اللهمّ اذا كانت سبقت فدخلته غير مرّةٍ وقد اطلقوا عليها اسم انتيجان (antigène) اي مولّدة الاضداد لانها لا تكاد تلج الدم حتى يقذف في وجهها من باطن الكريّات اضداداً للنكاية بها يدعونها أنتيكور (anticorps). وتسهيلاً للتعبير اسمحوا لي في سياق هذه المحاضرة ان اترجم عن الانتيجان بالمولّد او المولّدات وعن الانتيكور بالاضداد

وهنا يظهر لكم ان الدائرة التي حصر فيها اهرليخ عمل التوكسين قد اتّسعت كثيراً وشملت كلّ مادةٍ تدخل الجسم وتُحدث فيه انفعالاً فسمحت لنظرنا الحاسر ان يوسع مجاله ويرى مظاهر كثيرة أُغلقت علينا من قبل ويحلُّ إشكالها بردّها الى الاكتشافات الحديثة وكما ان الجسم بكليتهِ تنشأ فيه خواصُّ جديدة لدى احتكاكهِ بالمولّدات كذلك مصل الدم فانه يكتسب ايضاً خواصَّ جديدةً ونوعيّة. وليست هذه الخواصُ وهميّةً بل فعليّةٌ يمكننا الوقوف عليها في قوابل المختبرات

الكيماوية بما يحصل من الفعل الظاهر للعيان كلما جمعنا بين هذا المصل وبين مولّدات خواصّهِ الامر الذي لا يحدث في المصل السليم

وهذه التوطئة تدنينا من النقطة التي تدور حولها مسئلة المناعة اعني بها خواصّ المصل المكتسبة وخواصّ الاضداد

غير خافٍ ان معظم المولّدات بل كلها موجودةٌ في حالةٍ يدعونها شبه غروية (état colloïdal) وقد يكون فعل المصل فيها على حالين اما بتجميدها او بتسييلها . واليكم مثالًا نأخذه من المولِّدات الميكروبية : اذا جُعلَ ميكروبُ الكوليرا في مصل دمٍ جديد تراه يتحرّك ويعيش كما لو كان في مرقِ الاستنبات اما اذا وُضع في مصل دمٍ مُمتنعٍ ففي الحال تقف حركتهُ ويتلاصق ويتجمّد كُتَلًا صغيرة ثم يعقب هذا التجمّدَ تسييلٌ بطيءٌ ينتهي بتحليل الميكروب (bactériolyse)

وهذا مثالٌ آخر باعتبار الخليّات كمولّدات :

اذا وضعنا كريّات دم الخروف الحمراء في مصل ارنب جديدٍ تبقى تلك الكُرَيّات سليمةً كما لو كانت سابحةً في الماء المالح الفسيولوجي . امّا لو كان هذا مصل الارنب معالجًا من قبل بتلك الكُريّات الحمراء لرأيتها تتجمّد اولًا ثم تأخذ بالانحلال

وفي الحالين سواء كانت الاضداد من المُلصقات (agglutinines) او من المحلّلات (lysines) لا يكون مفعولها الّا نوعيًا اي انها لا تحوز بخواصّها المكتسبة جديدًا الّا اذا خالطت مولّداتها . وعليهِ اذا اعتبرنا المثالين الآنف ذكرهما وبدلنا ميكروب الكوليرا بباشلس التيفوئيد ودم الخروف بدم الثور فلا يحصل أدنى تغيير بل يظلّان كما لو وُجدا في مصل جديد . وليست تلك الخواص مجرّد افتراض — كما توهّمتُ سابقًا — بل هي حقيقة اختبارية تمكّننا من افراز كل من المُلصقات والمحلّلات واعادة مفاعيلها في القابلات الكيماوية

وخلاصة القول ان تأثير السموم في الجسم على اختلاف اجناسها بالنظر الى شدة خطرها او قلّته يرجع الى امتداد سطح هذه السموم او انقباضهِ وبعبارة اخرى الى شدة ذوبانها او قلّته في السائل الذي توجد فيهِ . ومثلُها مثل ركام من الثلوج تلبّدت على رأس منحدر في اسفلهِ قريةٌ فان أخذت هذه الثلوج تذوب تدريجيًا اجرت الماء

من تحتها فانحدرت في مسيلها وغارت في الوديان والسهول اما اذا افترضنا عاملاً قوياً اذاب تلك الثلوج دفعة واحدة فلا ريب ان انحلالها الفجائي يتهمر سيلاً عرمرماً يجرف القرية ومن فيها. ولا عجب فان هذا الامر نشاهده في المواد الملاجية ، فكم مادة منها — الكالوميل مثلاً — تكون قلة خطرها من قلة ذوبانها بالرغم مما فيها من الاصول السامة التي لو طرأ ما يعجّل في ذوبانها لصار سمها ذعافاً · وعلى هذا النحو تتصرّف كل الانتيجانات من المواد الشبه التروبية التي نحن في صددها ·

على ان بعض هذه الانتيجانات كالميكروبات وخلاصاتها (endotoxines) تكون من طبعها مستعدة للتجمد قبل ولوجها في الجسم وبعضها مستعدة للتسييل اكثر منها للتجمد كالخلايات والتكاسين الكثيرة الذوبان فعندما تدخل في الجسم يزيد هذا الاستعداد او ينقص حسب خواص الوسط الذي توجد فيه · مثال ذلك ان تُدخل في جسم رجل سليم قليلاً من التوبركولين (tubercuiine) بمقدار جزء من ميئة من الف فلا ينتج عنه أدنى انفعال لا موضعياً ولا عمومياً لان هذه الجرعة في الظروف العادية لا تحلّ الّا على رسلها وفي زمن مديد مما لا يساعد على احداث الانفعال · اما اذا ادخلتَ ذلك المقدار في رجل مصدور فانه يُحدث انفعالاً عمومياً وموضعياً لانه يوجد في مصل ذلك المصدور كمية من المحللات (lysines) التي من دأبها ان تُسيل جلةً كمية التوبركولين المذكورة

واليكم مثالاً اخر يزيد المسئلة وضوحاً : اذا اخذنا مادة غير مضرّة عادة كمصل الحصان وحقنّا بعشرين كراماً منه انساناً سليماً فلا يحدث هذا الحقن ادنى انفعال ، اما اذا حقنّا بهذه الكمية انساناً محسّساً عولج بها قبلاً (اي انه من مدة سابقة حُقن بهذه المادة) فتحدث على الاثر اعراض معروفة بالأعراض المصلية · ولماذا حصلت تلك الاعراض؟ لان في مصل هذا الانسان المحسّس وُجدت محللات غير موجودة في مصل الانسان الاول السليم وبينما كانت السموم متبعثرة وكامنة في مصله لعدم وجود محللات تذوّبها كانت المحللات مرابطة في مصل الرجل المحسّس فتداهمت اجزاؤها وذوّبت السموم وحلّتها فحدثت تلك الاعراض التي نسميها اليوم اعراض انافيلكسية ، وكما انه توجد في مصل الدم محللات تعمل الاعمال الآنف ذكرها قد يوجد ايضاً في مصل الدم موادّ تعاكس عمل المحللات وهي التي سميناها

عتيدات فهذه تفعل ضد تلك اي انها تمسك الانتيجان وتجمده فكأنها بها تحبسه او تقيده فلا يعود في امكانه نفث سمومه في الدم وبذلك تحصل المناعة لان مصل هذا الدم تكاثرت فيه الملصقات ورجحت كثيراً على المحللات فاصبحت الغلبة لها ومن ثمّ تشرت سطوتها في ذلك المصل فصار ممنعاً

واذا حقنّا حيواناً ممنعاً بجرعة قتالة من ميكروبات الكوليرا الميتة فلا يحدث منها ضررٌ لان مصل هذا الحيوان ممتلئ من الملصقات التي من دأبها ان تضمّ الميكروبات الى بعضها وتضيّق سطح انتشارها . كذلك الميكروبات الحيّة فانها تظلّ حيّةً وتتكاثر اذا أُدخلت في وسطٍ مناسبٍ لها وبخلاف ذلك اذ أُولجت في وسطٍ ممنّع فانها تتوقّف في مكانها ويدخل عليها نكروس الالتصاق فيصير شأنها شأن الميكروبات الميتة التي اوردنا مثالها

والخلاصة التي يجدر بنا استنتاجها من مقدّمات هذه النظريّة ان المناعة تحصل من رجاحة الملصقات على المحللات في الدم لان بواسطتها تتمّ الشروط المقتضية للانشاءة التسمّم وكسر شوكة الانتيجان من اي نوعٍ كان بتجميده في مكانه وتضييق سطح انتشاره حتى يدركه نكروس الالتصاق واذ ذاك تأتي المحللات وتفعل فعلاً تامًّا بتحليله وتنظيف الجسم من نفاياته

لقد كنتشكم الى الان هذه الزبدة النافعة التي في المحلات منعاً لاضطراب الافكار في تفهّم خواص كلٍ من الملصقات والمحللات كما ذكرناها فعي هي كما فصّلناها واعتبروها كما شرحناها مع هذه الزيادة وهي : ان اخلاق المحللات كاخلاق اللئيم اذا قدر لها ان تتغلّب في بادئ الامر فهي تتمرد وتستبد وتعصر السموم وتسيلها وتنفذها الى اقاصي الجسم لتتلفه . اما اذا تغلّب الكريم والكريم في موضوعنا هي الملصقات فإنك ترى المحللات تترامى وتتدانى قدّام انداها الغالبة وتتسل لها اقدامها وتنظفها من أوساخها وعلى هذا النمط يتمّ الدور الثاني من المناعة لان الملصقات بعملها الاول جمّدت المواد السامّة دون ان تلاشيها . ولكن بتجميدها لها منعت المحللات من عملها السيّئ النجادي الذي منه خطر التسمّم وسحت لها تحت مناظرتها بعملها المنظف وذلك بان تحلّل الانتيجان الجمّد تدريجاً بنوعٍ ان لا يعود له كبير تأثيرٍ على الجسم بل يُقذف الى الخارج بواسطة الاجهزة الطبيعيّة

مزيَّة هذه النظرية على سواها امكان تحقيقها بالاختبارات الكيماوية كما انها تدل عن الاعراض الكلينيكيَّة فضلًا عن انها جاءت لنا مفتاحاً يفتح بهِ جميع ابواب الظاهر الحيوية المغلقة فبواسطتهِ أُتيح لنا ان نسعى لترجيح المُلصقات على المحللات حتى تساعد عمل المناعة وبهِ ندرك خاصيَّة التلقيح والعلاج بالمصل واليهِ المرجع في ادراك التشخيص المصلي لفيدال (Widal) وطريقة وستيرمن (Westermann) في الكشف عن الزهري الى غيرها من الظاهر الحيوية التي سقط عجبها من اعين الاطباء لكثرة رؤيتهم لها لكنها ترشد عقولهم الى معرفة قدرة الله وتفعم قلوبهم شكراً لألطافهِ

قصيدة عامية

في الغلاء ووقوف الحال

من نظم الياس افندي سابكي الشامي

وهو مثال حسن عمَّا في لغة العامَّة من الطيبة والتفنُّن في الكلام فضلًا عن الفكاهة

١ يا لطيف ويا ستَّارْ مثل هالسنه ما صارْ يشتكي ارباب الكارْ
الصنَّاع مع التجارْ

٢ صاحب الصنعه يا اخوانْ ما يسحب اجرة الدكانْ تشوفوه دايماً زعلانْ
ووجهه يقدح جمرة نارْ

٣ ما يسحب اجرة الصانعْ ولذا عقله ضايعْ كسدانه عنده البضايعْ
وصاير بامره محتارْ

٤ صار يتديَّن المصروفْ من صديق صاحب معروفْ وقلبه حزين ملهوفْ
ما عنده نفقة نهارْ

٥ بدُّه يجيب لعياله طحينْ كونهم كلهم جوعانينْ واولاده منتظرينْ
واقفين باكين بباب الدارْ

٦ يمشي عاكفّ الرحمنْ حتى يصل للسمَّانْ يقول له دخلك امانْ
قيِّد عندك بالدفترْ

٧ قيِّد عندك طحين وزيتْ ... عمّال يصرخو في البيتْ ... وان كان الليلة ما اعطيتْ
ما نتشى كبار وصغارْ

٨ يا عمّي انك مغشوش ... رطل الطحين بست قروش ... فكلامك عندي بوش
انصحك لا تتمرمرْ

٩ هذا عندنا سعر الزادْ ... ولونه اسود زي الرمادْ ... وان سألت عن العتادْ
اختفى وما له آثارْ

١٠ اشتكينا عل طحّانه ... قالوا الحقّ عل خزّانه ... حالـه سودا وريّانه
ومطلي دايرها بشحّارْ

١١ والخزّانة مـا بتردّ ... الذهب معها تعـدّ ... والغني إيده ما يمدّ
يموتو من غير ستارْ

١٢ يخزنوا قوت العبادْ ... يحرموا الفقير الزادْ ... هل تجارة يا اجوادْ
يبغضها رب الانوارْ

١٣ عندنا تاجر من اهل الودْ ... عنده ستين الف مدْ ... مها تسبّه ما بيردْ
عابد الله والدينارْ

١٤ هلكت نصف مليون عبادْ ... حتى ينتفع افرادْ ... عشرة عندهم ايرادْ
وكالة الامة تتقهقرْ

١٥ ما عاد امكان الفقيرْ ... يحصّل قوته خبز شعيرْ ... وتاجر القمح مثل الميرْ
وشواربه مثل عنترْ

١٦ يقول السنة ربحانْ ... هذا فخره يا اخوانْ ... ليته يحمله الشيطانْ
التاجر مع السمسارْ

١٧ حتى وصل معه الجورْ ... صار يسفره بهل زورْ ... لحيفا ولدير الزورْ
لحلب وديرة عكّارْ

١٨ صارت غيرة وتجارة ... يتشكرو حالهم امارة ... لو وفوا ديون الحارة
مـا يبقى معهم دينارْ

١٩ بهمة والينا الغيورْ ... باعماله دايماً مشكورْ ... بعث قوّة للبابورْ
ما يشحنو ولا قنطارْ

٢٠ خافت كل الحرّاقة البوابك عندها مليانة الحديدة كانت حيانة
حطوه ببيد ما فيه قرارْ

٢١ الله قدّر يا خالي كل شي بالشام صار غالي والان يخطر ببالي
اوصف كافة الاسعارْ

٢٢ قفة الرز بستين رطله تسعة مين بالعينْ والتاجر لما يزين
كفه يزين اسوارْ

٢٣ واللحمة اوقيتها بقرشينْ تُدفع نقدي لا بالدينْ والسمنة رطلها باربعينْ
وبسبعة رطل السكّرْ

٢٤ زيت الكاز آه يا خالي الحمد لله ما هو غالي يبيعونه بالمثقالْ
بسعر القرفة والصبرْ

٢٥ بتلات غروش البطاطة بالبطن تعمل شاطة يصبّوها بالجاطة
وتمشّي عشرة انفارْ

٢٦ يخرب بيت القرنبيطْ صار يتباع بالقراريطْ رطله بخمسة شي بسيطْ
الاوفق ياكلو زعترْ

٢٧ الفقير ياكل خبز حافْ والنومة من غير لحافْ حالته كاملة الاوصاف
بالورق ما تتصوّرْ

٢٨ لو تمشي لية زيتونْ يعطي اولاده بالقانونْ كل واحد مثل الهارونْ
يرضيه بخمسة ستة كبارْ

٢٩ والزيتون ما هو رخيص صاير بياعه حريص للسفر صار له ترخيص
المدّ باربعين قُول اكثرْ

٣٠ وان مخناها باكل فولْ انفع للصحة ومقبولْ يقول اطيب من المعولْ
واكله يكون من دون عيارْ

٣١ والبقلاوى بالتقديرْ اكلها مضرّ للفقيرْ تجعل له عمره قصير
بالمعده تداوي اضرارْ

٣٢ ما ياكل جنس الحليبْ بقلة اكله قد يصيبْ مانعين اكله بالتطبيب
ومخصصته للكبارْ

٣٣ والقشطة تضرُ الاما   اسمعوا يا ناس هل سمعهْ   يفرح بنهار الجمعهْ
حتى يقطع الزفرْ

٣٤ لو بدّي احكي بالتحريفْ   يمضي. الشتا مع الصيفْ   وما اخلع عنه توصيفْ
عن حياته هل معترْ

٣٥ شي هل حاله الحزنيّهْ   حكينا جزْ من اليّهْ   وحياتكم يا فنديّهْ
جملناها باختصارْ

٣٦ ونبدي الان عل ماليّهْ   تشرنها كلها مخفيّهْ   ما تنظر منها مصريّهْ
ولو جبت لها الفين نظّارْ

٣٧ ما يخصم البنك اوراقْ   والصراف اصبح منضاقْ   حال التاجر ما ينطاقْ
وافلاس الصانع ظهرْ

٣٨ اغلب الشرام اصحاب فنْ   واوربا عليهم ما تحنْ   يا ناس دخل في الظنْ
اساسه حرب البلغارْ

٣٩ حتى صارت طناعه   ورفعت اسعار البضاعه   احلفكم يا جماعه
افتكروا بغلا الاسعارْ

٤٠ غلا فاحش ما بينطاقْ   عموم البضاعه بالاطلاقْ   نقدي من دون كتب اوراقْ
ولو طلبنا عشر ازوارْ

٤١ صاحب الاملاك ما يونْ   عل مستأجر ما بيحنْ   صار شريك اصحاب الفنْ
قال بالملك نحن احرارْ

٤٢ هذا عايش يا اخوانْ   عيشة وزير مع سلطانْ   لو حمل كل يوم سيرانْ
ايراد املاكه مسوكرْ

٤٣ لكن الصانع مسكينْ   كل شغله اصبح بالدينْ   من عطل الوقت يستدينْ
ويكسر نفسه للتجارْ

٤٤ يشكي له كل الحالهْ   يكتب عليه كبيالهْ   ويطلبْ منهْ كفالهْ
حتى دينه يتسوكرْ

٤٥ لما يشوف حاله منضاقْ   ما يدفع الاستحقاقْ   بالبروتستو تصير اوراقْ
وما يعطيه مهلة نهارْ

٤٦ الصانع يصير مأيوس   ما عنده يدفع فلوس   تشوفوه دايماً مدعوس
على عيشته يتحسّر

٤٧ هل حاله كاهان الحروب   يلزمها صبر ايوب   حرب البلقان والمسكوب
واليونان مع البلغار

٤٨ هل سنه ورّخناها   وبالسجل قيدناها   للمشرق اعطيناها
ليلتهي فيها الافكار

٤٩ شو هل تاريخ المنحوس   ما صار مثله بحرب الروس   بيدنا نقيده بالقاموس
مع تاريخ بطرس الاكبر

٥٠ لانه من سنين عديده   ما صار سنة فريده   نظمنا عليها قصيده
ليقروها بالامصار

٥١ الله يغير معنا الحال   فهو القدير المتعال   لانّ العطل معنا طال
صار له خمس سنين كبار

٥٢ هل قصة كتبناها   بالدفتر قيدناها   وبالجريده طبعناها
والنّاها بآذار

٥٣ بسنة الف وتسعمية   وتلتّ عشر مسيحية   على حساب الغربية
حسابهم مضبوط لا يُنكر

٥٤ كلامي مبني باساس   تشهد معي كل الناس   ناظمها مسابكي الياس
يطلب من القاري اعذار

٥٥ يطلب عفو من القاري   تكلمنا بأي جاري   العربية مش كاري
ولا اعرف انظم اشعار

٥٦ ما اعرف عربيّه   هي لسهما تراديه   علتها فكاهيه
ليقروها كبار وصغار

٥٧ ليشوفو حالة الشام   حالة حزينه . تمام   هي الخاتمة والسلام
نطلب العفو يا غفار

٥٨ يا ارحم الراحمين   بعزتك نستعين   افرج عن المظلومين
يا عزيز ويا جبّار

٥٦ ربّي ترأف بعبادك ان الرأفة عاداتك فارحمنا برحماتك
بجاه رسلك الاطهار

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

١٦ من بمباي الى عدن – البحر الاحمر – رجوعنا الى بيروت

انّ المسافة بين بمباي وعدن تبلغ نيفاً والفي كيلومتر تقطعها السفن في خمسة ايام على الاقلّ . وكانت باخرتنا المسمّاة سُتلاج (Sutlej) من كبار البواخر حسنة التجهيز محكمة الادوات متقنة المعاهد سريعة السير ناقلة لبريد برنديزي وكان معظم ركابها من الاوربيين ولاسيما وجوه الانكليز على انّنا وجدنا بينهم بعض تلامذة مدارسنا في الهند فسرّنا الاجتماع معهم وبسط الحديث في امور تلك الاقطار . وكان احدهم محرّرًا في جريدة بمباي المعروفة بالبشير الكاثوليكيّ (Catholic Examiner) وهي كثيرة الانتشار في انحاء الهند يعدّونها كلسان حال الكاثوليك في تلك الجهات

وكان سفرنا من اطيب الاسفار لانّ بحار تلك البلاد هي في وقت الشتاء هادية ساكنة على خلاف بحرنا المتوسّط . فكانت السماء لا يشوبها غيم ومياه البحر شديدة الزرقة لعمق اغوارها فتمخر سفينتنا المياه ولا نكاد نشعر بحركتها . وكان اذا دخل الليل لاح الفلك مزداناً ببروج ونجوم لم نعهدها في اقطارنا فكنّا نرقبها بل الشرق امّا البحر فكان يشعّ شعاعاً عند اصطدام السفينة بألوف الالوف من صغار الحيّوينات التي تنتشر على وجه المياه فتُرى كأنّها شعلة نار

امّا البرّ فلا ترى العين له اثرًا مدّة ثلاثة ايام كاملة وهو لعمري منظر يؤثّر في الانسان اعظم التأثير اذ يرى نفسهُ في بطن الواح يسيرة بين السماء والماء لا يرى من العالم غير افراد معدودين يخوضون معهُ غمر البحار تحت رحمة خالقهم فتتجلّى للمسافر عظمة ربّ الكون ويشعر بعدمهِ بازاء مالك ناصيته

ووافق وقوع عيد ميلاد السيّد المسيح في اثناء مسيرنا الى عدن · وهو موسم جليل يحتفل بهِ الانكليز احتفالاً باهرًا في اوطانهم ومستعمراتهم ويدعونهُ باسم قديم معناهُ قداس المسيح (Christmas) فاراد رئيس باخرتنا ان لا يُحرَم النوتيّون وركّاب السفينة من بهجة ذلك العيد فامر بان تُنشر الرايات وتُزان المعاهد العموميّة مع ظهر السفينة بالاقمشة واكاليل النبات وطاقات الزهور ووُزّعت المشروبات والحلويات على الجميع

امّا نحن فانّنا فكّرنا ايضاً في اقامة رتبة دينيّة في اواسط الليل كما هي عادة الكنيسة اللاتينيّة فطلبنا من القبطان ان يفرد لنا بعض غرف المركب لنعدّها للذبيحة المقدّسة وان يسمح للنوتيّة الكاثوليكيين بحضور الحفلة فاجاب المومأ اليهِ بكل لطف الى ملتمسنا وارسل الى النوتيّة يخبرهم بالرخصة الممنوحة لهم · فزيّنا الغرفة بصور تقويّة ونضّدنا الزهور والرياحين ثم نصبنا هيكلنا النقّال واوقدنا الشمع عند منتصف الليل فباشرنا بالحفلة وكان بعض النوتيين يرتلون الاغاني الروحيّة وتقرّب ثلة منهم · فكان لهذا الاجتماع وقعٌ حسن في قلوبهم وهم لم يعتادوه قبلًا على البحر وكان ذلك النهار يوم بهجة وحبور للركّاب اجمعين تلوح على وجوه الكل امائر الفرح

وعند منتصف النهار من يومنا الرابع رأينا عن شمالنا جزيرة سقطرى المشهورة قديمًا باسم ديوسقوريدس · وقد ذكرنا في مقالتنا عن تاريخ النصرانيّة وآدابها في الجاهليّة (ج ١ ص ٦٦ و١٤٦) تديُّن اهلها بدين المسيح ورسالة اليسوعيين فيها · واليوم هي تحت حماية انكلترة واهلها اخلاط من الزنج والعرب والهنود يتاجرون بالصبر السقطريّ والتمر والنيل · وطول هذه الجزيرة نحو ١٣٠ كيلومترًا في عرض ٤٠ نُ فيها جبال يبلغ اعلاها ١٤٠٠ متر · والجيولوجيُّون يذهبون الى انها كانت قديمًا متّصلة ببلاد الصومال من اعمال افريقية ففصلتها الزلازل عنها

ثمَّ دخلنا في اليوم الخامس في خليج عدن فكنّا نشاهد يمينًا جبال حضرموت ثمَّ ما يليها من سواحل اليمن وشمالًا نسرّح الابصار في اطراف افريقية مباشرةً برأس غواردافوي ثم اقطار الصومال والكالا حتى ارست السفينة قريبًا من عدن فنزلنا الى البرّ وقصدنا ان ننتظر فيها يومين او ثلاثة أيام ورود سفينة افرنسيّة من شركة المساجري نركبها الى سويس ونفقة السفر عليها نصف النفقة على الباخرة الانكليزيّة

وكان نزولنا في عدن في دير الآباء الكبوشيين الذين اكرموا مثوانا في مدة اقامتنا عندهم . وكان هناك سيادة المطران لويس لاسارّ (Mgr L. G. Lasserre) النائب الرسولي على رسالة بلاد العرب والصومال فانس بنا وافادنا بما رواهُ لنا عن اعمالهِ واعمال المرسلين الكبوشيين بين الحبشة والكالا اذ كان مع السيّد مسّايا (Mgr Massaja) الذي جعله بعد ذلك الحبر الاعظم لاون الثالث عشر كردينالًا . ثم مع السيّد تورين (Mgr Taurin) خلفهِ وكذلك بيَّن لنا احوال رسالة عدن والصومال التي عُهدت الى عنايتهِ سنة ١٨٨٩

وعدن مدينة معتبرة لوقوعها عند مدخل البحار الهنديّة على ممرّ كلّ السفن القادمة من الشرق الاقصى فيأخذون منها حاجتهم من الفحم والماء المشروب . وهي على قسمين قسمٌ فيهِ الفرضة البحريّة (Steamer Point) وما يلحق بها من المستودعات التجاريّة والتحصينات ومقامات القناصل وثكنات الجند ودور الاجانب . وقسم هو في البرّ يبعد عن البحر نحو ساعة ونصف وهناك مدينة عدن الوطنيّة والاسواق وبيوت الاهلين . واهل عدن نحو ٤٠,٠٠٠ معظم تجارتهم البنّ والقطن والغلّات الواردة من انحاء اليمن . ويشتدُّ الحرّ كثيرًا في عدن حتى انَّ بعض الاجانب لا يستطيعون الصبر عليهِ الّا بالاستحمام المتواتر ومنهم من ينزل ساعات في احواض الماء ويشتغل كذلك . والماء قليل في عدن واهلها يشربون من الآبار . وكان في قديم الزمان للمدينة صهاريج عاديّة وثيقة كان اصحابها يشربون منها فاستولى عليها الخراب واليوم يصرف الانكليز على ترميمها المبالغ الطائلة ليعود الاهلون الى الاستقاء منها

وكانت عدن سابقًا لسادة من اهل اليمن فاستولى عليها الانكليز سنة ١٨٣٩ وهم يعتبرونها كنقطة مهمّة من مراكزهم لاجل مستعمراتهم الهنديّة وقد حصّنوها تحصينًا واثقًا في وجه كلّ عدوّ يناوئها فلها القلاع الحريزة والمدافع الكبيرة التي تحرس قسمَيها البحريّ والبرّي مع عدد عديد من الجند فلا يستطيع احد فتحها الّا بعد شقّ النفس . ولهم فسحة واسعة وراءها كما انَّهم يملكون منذ سنة ١٨٥٧ في البحر جزيرة تزيد عدن تحصينًا على مسافة ثمانية كيلومترات من سواحل العرب تدعى باريم (Périm) ويحصّنها ايضاً مضيق باب المندب الواقع في غربيّها بين البحر

الاحمر وخليج عدن فمن هذا ترى انَّ انكلترة راسخة القدم في تلك الجهات لن يقوى عليها عدوٌ

امَّا من حيث الدين فالغالبُ على اهل عدن الاسلام الَّا الاجانب من الفرنج وغيرهم وكانت عدن قبل الاسلام مركزًا لقبائل نصرانيَّة ثبت قوم منها على ايمانهم مدَّة ثمَّ انقطع عنهم ارباب الدين فتضعضعوا ولمَّا كانت السنة ١٨٨١ فصل الكرسي الرسوليّ رسالة عدن عن رسالة الكالا وسلَّمها الى الآباء الكبوشيين والسيد لاسارَ اوَّل نائب رسوليّ عليها

وللمرسلين في عدن محلَّان الواحد عند الفرضة البحريَّة حيث اقمنا في ضيافتهم ولهم فيهِ كنيسة بهيَّة يتردَّد اليها الكاثوليك ولا سيما الجنود الارلنديُّون المرابطون في البلد فيحضرون كلّ يوم احد وعيد الرتب الدينيَّة بكل تخشُّع ونظام ويسمون الوعظ بالانكليزيَّة ولهم ايضاً مدارس يعلّمون فيها اللغات الاوربيَّة ويهذّبون ناشئة العيال الاوربيَّة التي تسكن عدن ويساعدهم في التعليم الاخوة المريميُّون . امَّا للمدينة الوطنيَّة فلهم فيها مقام لليتامى من العرب والصومال ويساعد الآباء الكبوشيين راهبات من اخويَّة الراعي الصالح وغيرهنَّ ايضاً ومدارسهنَّ على قدم النجاح

على انَّ الآباء الكبوشيين لم يكتفوا بعدن بل حاولوا ان يفتحوا لرسالتهم منافذ اخرى ليخدموا الوطنيين ففي سنة ١٨٩١ دخل احدهم الاب يستيان حُدَيدة حيث يقيم قوم من الاجانب وقنصل فرنسويّ فوجدوا في طريقهم عقباتٍ ذلَّلوها بعد حين حتى صار العرب يتقرَّبون منهم ويثنون على همَّتهم وتفانيهم في مساعدة الفقراء وتعليم الصغار . ومن المرسلين الكبوشيين في حُدَيدة الاب فولجنس عذبا، احد طلبة كلّيَّتنا البيروتيَّة كان هناك اذ مررنا في عدن

وفتح احدهم الاب اونجلست سنة ١٨٩٣ رسالة اخرى منوطة بعدن وذلك في العدوى الافريقية الموازية لعدن في بربرة بين الصومال فامتلكوا اراضي واسعة ليشغلوا فيها اليتامى الذين يربُّونهم بالفلاحة وهذه الرسالة لا تزال مزهرةً حتى اليوم . ومن اعمال المرسلين هناك انهم اخذوا يدرسون لغة تلك البلاد فصنَّفوا كتباً مفيدة لدرسها منها قاموس صومالي انكليزي وانكليزيّ صومالي وبعض كتب دينيَّة طبعوها في لندن

وقد صرفنا الوقت الباقي لنا في زيارة بعض الذوات كالقنصل الفرنسويّ والحاكم الانكليزي . ثمّ سرنا الى زيارة مدينة عدن الداخليّة فسرنا اليها مشياً وقطعنا سهلاً رحباً ثمّ رقينا الى آكام قليلة الارتفاع الى ان بلغنا الى مضيق بين جبلين يسهل سدُّهُ في وجه العدوّ وهناك طريق منحوت في الصخر ينفذ الى مدينة عدن

فاجتمعنا في البلد ببعض تجار الشام كانوا مقيمين هناك يتاجرون بالبنّ فعرّفونا ببعض شيوخ المدينة الذين لهم المامٌ بالآداب فرأينا انّ بضاعتهم زهيدة جدًّا . امّا الآثار الادبيّة فلم نجد منها الّا اليسير وامكننا مع ذلك ان نحصل على خمسة او ستّة كتب ادبيّة مخطوطة

وزرنا هناك ميتمًا للآباء الكبوشيين في محلّ يعرف بشيخ عثمان فرأينا من نشاط هؤلاء الاحداث وذكائهم ما سرّنا . وللراهبات ميتمٌ آخر للبنات . وقد اقام المرسلون هناك كنيسة حسنة لخدمة اولادهم وللجنود الارلنديين الكاثوليك ولبعض العمّال الفرنسويين المتاجرين مع الاهلين

واهل عدن لفيف من عناصر البشر يختلفون لوناً ولغةً وزيًّا . وكنّا نرى من المدينة صروحاً عالية كالصروح التي رأيناها في كوراتشي للمجوس ومنهم في عدن قوم ينقلون اليها موتاهم . ويشرف على عدن جبال وصخور كنّا نرى فيها الجدران العالية فقيل لنا انّ ذلك سدُّ ملكة سبا فيزعمون انّها شيدتهُ كخزّان للمياه لتسقي اراضي عدن في جدبها . وما لا يُنكر انّ عملها يدلّ على رقيّ بُناتها الاقدمين

وكان سفرنا من عدن يوم الاحد الواقع في ٢٩ كانون الاوّل . وفي صباح ذلك اليوم احتفل المرسلون بقداس حافل جعلوهُ كختام السنة وكانت الكنيسة رائقة بزينة عيد الميلاد فأُقيمت رتبة شائقة ابهجتها الموسيقى العسكريّة بنغماتها مع اناشيد الجنود الحماسيّة

وفي عصر النهار طلبنا بركة سيادة النائب الرسولي وشكرنا حضرة الآباء المرسلين فركبنا باخرة الساجري القادمة من بلاد تونكين على طريق كولومبو حاضرة جزيرة سيلان المعروفة عند قدماء العرب باسم سرنديب . وكان ذلك اليوم شديد الحرارة ونحن في اواخر كانون وكنّا رأينا في عدن المرسلين الكبوشيّين لاحتدام الحرّ

لابسين الصوف الابيض الخفيف وعلى رؤسهم القبعات البيضاء الواقية من وقدات الشمس

فسرنا بامان وقطعنا مضيق باب المندب فنفذنا في بحر القلزم المعروف بالاحمر. وكان البحر هادياً في ذاك الفصل على عكس بحر الشام وهو يهيج في فصل الصيف. وقد قطعنا المسافة بين عدن وسويس باربعة ايام. ولم يطل علينا الزمان لأنّنا كنّا نمرّ بين قارّتي آسية وافريقية فتتجدّد امامنا المناظر من ساعة الى أُخرى فرأينا من جهة العرب جُدَيدة المارّ ذكرها وجاورنا جزيرة باديم وكنّا نرى في سواحل افريقية نواحي الصومال وكان قوم من اهلهم اتوا الى مركبنا قبل سفره فسرُّونا بحركاتهم والعابهم وكان البعض من فتيتهم يصعدون الى السواري ثمّ يرمون بنفسهم من اعلاها الى قعر البحر ليلتقطوا دريهمات كان الركّاب يلقونها لهم

وفي الليل كنّا نرى المنائر المضيئة التي يرتشد ارباب السفن بانوارها. وقد مرّ لنا وصفها في المشرق (١٠٤٣:٤) وقد عرفنا بنورها موقع جيبوتي (Djibouti) وابوك (Obok) اللتين اتخذتهما فرنسا كمستودع فحم لسفنها

ويوم الاثنين مررنا ليس بعيداً عن جدّة وهي فرضة مكّة وبلاد الحجاز وكنّا شهدنا قبلها من جهة الشمال بلاد الحبشة وما احتلّهُ منها الايطاليّون وكانت الحرب عند مرورنا لا تزال قائمةً على ساق بينهم وبين جيوش النجاشي منليك وانتهت بعد ثلاثة اشهر بكسرة الجيوش الطليانيّة وقائدهم باراتياري فاضطرّ الايطاليّون الى ان يكتفوا بحلول مصوّع وقسم من سواحلها وذلك ما عُرف باسم مستعمرة الاريثره (Erythrée). وذكّرتنا مصوّع باحد مواطنينا الحلبيين المكرّم ابرهيم برجي المارونيّ من الرهبانيّة اليسوعيّة الذي مات فيها شهيد الايمان في سنة ١٥١٥ بعد تبشيره بالدين المسيحيّ في الهند

ويوم الثلثاء توسّطنا في مسيرنا بين تهامة يميناً والنوبة شمالاً. والسفن قلّما تربط في تلك الجهات اللهمّ الّا بعض المراكب الشراعيّة التي تتنقّل على سواحلها المجدبة غير المأهولة. وانّما وراءها من الجهة العربيّة «المدينة المنوّرة» التي فيها قبر نبيّ المسلمين والخلفاء الراشدين

قمنا في صباح اليوم التالي الاربعاء واذا هو رأس سنة جديدة وهي ١٨٩٦

دخلنا فيها باليمن والبركة وكان ذاك النهار كاحد ايام الربيع في سورية فتلطّفت وهجات الحرّ لتقرّبنا من بلاد الشام . فكان اوّل فكرنا ان نقدّس باكورة ذاك العام بتقدمة الذبيحة المقدّسة لعزّته تعالى ودعونا الى حضورها بعض الركّاب فاجابوا بطيب الخاطر . ثمّ صرفنا باقي يومنا بالفرح وكانت السفينة في ذاك النهار تجتاز بين سواحل مصر فترى من جهتها الجبال المعروفة بالسلسلة العربيّة (chaine arabique) وبين خليج عقبة ثمّ شبه جزيرة سينا . فكانت تلوح لنظرنا تلك الانحاء التي جرت فيها الحوادث العجيبة المذكورة في اسفار موسى الكليم . فلدى مشاهدتنا جبل الطور كنّا نفكّر في تجلّي الربّ لشعبه في وسط الرعود والبروق ليُملي اليهم بوصاياه ثمّ نتذكّر سير بني اسرائيل في تلك الاقفار مدّة اربعين سنة والربّ يرعاهم ويقيتهم ويظفرهم من كلّ اعدائهم بالمعجزات الباهرة . وهناك آثار أُخرى مسيحيّة وغيرها سبق الى وصفها المشرق (راجع رحلة خليل صبّاغ الى طورسينا ٧ : ٩٥٨ و١٠٠٣ ووصف طورسينا الشمّاس افرام ٩ : ٧٣١ و٧٩٤ ثم وصف معادن جبل الطور القديمة للاب لادملاس استفانسكي ٩ : ١٠٦١ و١١٢٩)

وفي مساء ذلك النهار احبّ القبطان ان يبهج النوتيين وعمّال السفينة بتوزيع بعض الهدايا عليهم وكذلك تبرّع الركّاب بهبة مالية جمعوها ففرّقوها عليهم . فشكرهم البحريّون الذين اجروا على ظهر السفينة عدّة ألعاب رياضيّة سُرّ بها الركّاب وصفّقوا استحساناً لها مراراً . وبعد غروب الشمس بلغت الباخرة سويس فارست عندها ساعات حتى منتصف الليل ثمّ قطعت الترعة فبلغت بنا صباحاً الى بورت سعيد حيث اضافنا حضرة الآباء الفرنسيسيين بما عُهدوا من اللطف فبقينا في ديرهم ريثما تُسافر احدى السفن الى بيروت امّا مركب الساجري فواصل سيره الى مرسيلية

وانتهزنا نحن فرصة مكوثنا في بورت سعيد لنسطير اخبار رحلتنا فنُشرت وقتئذٍ في اللغة الافرنسيّة في احدى مجلّات اوربّا وذاك ما سمح لنا ان نروي تفاصيل هذه الرحلة التي كان فاتنا كثير منها لولا تلك المذكّرة

وكانت اوّل سفينة امكنّا ركوبها للرجوع الى بيروت سفينة شركة اللويد النساوية المسمّاة امفتريت فركبناها يوم الاربعاء ٨ ك الثاني فاوصلتنا الى بيروت في

صباح الجمعة ١٠ منهُ بعد نوءٍ شديد قابلنا بين هيجانهِ وهدوّ البحر الهندي والبحر الاحمر

حدث ولا حرج بما شمل اخوتنا الرهبان في بيروت اذ رأونا رجعنا بالسلام بعدما انقطعت عنهم رسالاتنا مدةً وانتشرت في حقّنا الروايات المزعجة . وكان يوم عودتنا تمام اربعة اشهر منذ خروجنا من بيروت فابدينا الشكر الجزيل لذاك الذي ارسل ملاكهُ فانقذنا من كلّ الشرور المحدقة بنا لذكرهِ المجد الى ابد الدهور

الحجل اللبناني

لحضرة الاب يوسف الحوري من اساتذة كليتنا

ولّى الشتاء وزمهريرهُ . وأقبل الربيع وغريرهُ . فتنفّس الطيرُ الصعداء . وتغرّد بآيات الحمد لبارئهِ الذي نجاهُ من اعباء الشتاء . فافرجهُ من ضيقتهِ واخرجهُ من وكرهِ ولو رثّ الإهاب مهزول الجسم شاحبهُ

هاكهُ بعد بروزه محوّماً فوق المراعي الطيبة وضارباً بجناحيهِ على السهول الخصبة ليعالج هزالهُ ويستبدل ضمورهُ بالسمن فألفتَ اليهِ نظر الصيّاد وأهاب به من خمول الشتاء الى تشميس بارودهِ من الرطوبة وتجهيز بندقيتهِ وجلائها من صدإ الخباء والتشمير عن ساعده لمطاردة الطير في مجاثمهِ وملاحقتهِ الى وكناتهِ لانه خُلق لخدمتهِ وسُخّر لافادتهِ ومنفعتهِ

لكل بلاد اطيار تفوق بعضها بعضاً بالحسن والظرفِ وبالنفع لقوت الناس فاحسن بلادنا طيراً واطيبهُ لحماً الحجل فاصحاب البيوت يقتنونه والصيادون يلاحقونه في وعور لبنان وغاباتهِ وحزونهِ وبطاحهِ غاصة بهِ . واذا لحظنا في اخلاقهِ ما يستحق الذكر ويسلي الخاطر رأينا خدمةً لقراء هذه المجلة العلميّة ان نكتب لهم شيئاً عن طبيعة هذا الطيرِ الذي يقتنيهِ الغنيّ في بيتهِ وينهب الصيّاد الارض وراء اقتناصهِ معتمدين في وصفنا العيان والاختبار لا النقل والسمع فنقول :

﴿ وصف الحجل واشكالهُ ﴾ الحجل من فصيلة الدرّاج والكروان والقبج

وربّما اطلقوا عليهِ اسماءها وصاحب حياة الحيوان يسمّيه ايضاً بالسماني والانثى الحجلة والعامّة تسمّيها «السركة» وقت الصيد فقط وهي تصحيف سلكة وهو طائر فوق الحمام قريب من القطا عبل الجسم ململمهُ صغير الرأس احمرهُ ابتر الذنب مدوّرهُ قصير الساق مرتفع الجؤجؤ كثير الريش نسبةً الى هيكلهِ. والحجل اشكال متّحدة طبيعةً مختلفة هيئةً وحجماً منها الاحمر وسمّي كذا لاحمرار ناصع في مخالبهِ وساقيهِ ومنقارهِ وعينهِ وبعض ريش جناحيهِ ويكثر وجوده في اميركا لاسيا الجنوبية كالبرازيل وكولومبيا وبعض نواحي افريقية والهند واليابان وشوهد منه بقلّة في لبنان وسورية والسنجابي وتراه بكثرة في اوربا لاسيا في شمال فرنسة وهو المسمّى عندهم «perdrix». ومنها الرومي او الدمشقي وربما سمّي كذلك او لحق بهِ هذا الاسم لكثرتهِ في بلاد اليونان وجهات الروم ودمشق الشام. ويُرى ايضاً في جهات ارمينية والعجم لا سيا في وعور لبنان وغاباتهِ وقد اقتصرنا في الكلام عليه دون سواه في هذا المقال لانتشاره في بلادنا ولأن الواجب يقضي علينا بوصف القريب دون الغريب فنذكر شيئاً من طبائعهِ وتربيتهِ وتدجينهِ وطرق صيده المتعارفة في بلادنا

﴿ خواصّهُ ﴾ يختلف الحجل الدمشقي او حجل بلادنا عن سواه في بعض الاشكال والالوان ويتفق معهُ طبيعةً فكلّ ما نورده هنا يصحّ على الغالب نسبته لبقية الاجناس فهو صغير الرأس رماديّ الريش ارقط الجناح احمر الساقين قويّ المنقار اعكنهُ قصير الذنب ابترهُ يغلب عليه الخوف والتحذّر فلذا لا يحلّق كغيره في الفضاء. ولا يجثم على المحالّ الطلقة والاشجار الباسقة بل ينسلّ بين الادغال ويختفي بين فصائل الباذنجان وخلال الأنفاق والصخور ولا يطير الّا عرجاً ولمسافة قريبة غير بعيدٍ من الارض وينفذ في الهواء مسرعاً كأنه بطيرانهِ حجرٌ خرج من المقلاع او سهمٌ زلّ عن القوس ومتى اضطرّ لمغادرة وكرهِ وربضهِ فلا يعبز دفعةً واحدةً بل يقرقر ويغرّدُ مرات متقطعة كانهُ يجسّ نبض الطريق ليأمن مرور العدو ثمّ يدرج درجاً حتى يبلغ نهايته. ودروج الحجل — والعامة تسميهِ نقلة — يُضرب بهِ المثل بالخفة واللباقة ويشبَّه نقلُ الراقص بها لان بانضمام المخالب وموازنتها وإسبالها ما يشبه ايقاع الموسيقى واوزانها الطربة

والحجل يؤثر فيه الحرّ فيتقيه فلا تراهُ يخرج لطلب رزقهِ الّا عند انبثاق الفجر وفي الفيافي والبطاح وعند انتشار الضباب . وقد يمرّ فيما سوى ذلك فوقة حجر الصياد فلا يُثيره من خبائه مع ان قوّة الشعور فيه متوفرة وبالغة حدّها وكما ان الحرّ يضيه كذلك القرّ يعمل في جسمهِ فمتى غشى الثلج جوانبهُ يهبط السواحل والبقاع ويستمرُّ فيها الى ان يطيب الهواء ويزول الثلج . ثمَّ انَّ الربيع حتى الحفيفة تحدو به الى الاعتزال والاحتجاب فلا يطلبُ فيها طعاماً ولا يلتمس قوتاً ويستكف من الشتاء لشدة وقعهِ عليه فيضمر جسمه ويرثُّ لباسهُ ويتناثر ريشه . ومن طباعهِ انهُ يذويهِ فلا يعيش الّا مع اسراب من جماعتهِ وقلما رأى الصيادون حجلاً طريداً في غير ايام السفاد ويسمونها « ايام الفقاد » وهي في عرفهم الزمان الذي يطلب فيه الذكر انثاهُ للازدواج ويشترك كلاهما بتهيئة عشهما وهذه الاسراب يسمّيها الصيادون رفوفاً تتألف غالباً من الذكور ولا دخل للاناث بها والحجل لا يبيت في مكان بات فيهِ سابقاً بل في جوارهِ لئلّا يهتدي اليهِ العدوّ ومتى اخلى مكاناً عرجاً لا يعود اليه في مستقبل الايام

ويعيش الحجل الى السنة الخامسة عشرة ويزعم البعض انّ سني عمرهِ على قدر عدد بيض انثاه وعلامة العمر تصلُّب لحمِهِ واعصابهِ وارتخاء عضلاتهِ وتضخُّم ساقيه وسوادهما . ويتميّزُ الذكر عن الانثى بكبرِ رأسهِ وضخامة ساقيهِ وهنةٍ على رأس مؤخر مخالبه تكبر وتصلب مع الايام ولحمه من اطيب اللحوم وألذّها والصيادون يولون عليهِ . ويخاصم الثعلبُ الحجل فيلجئهُ الى مخالفة طبيعتهِ والجثوم على الاشجار تخلّصاً من اذاه وربما وقع امامه من الخوف منحلّاً وهو يلحقه

﴿ طعامه ﴾ تضرب العامّة المثل بمعدة الحجل فتقول لصاحب البطنة : معدتهُ تقطع الصوّان ولسانه كنقار الحجل تكسر الحجارة . وربما يولغ اكثر من ذلك لان الحجل لا يعفو عن شيء . فيأكل ما يقدَّمُ لهُ بلا تحذر الّا انه يلتذ بالنبات فاذا قدّمت له قرةً ويُرّ الا يمسُّ الثاني قبل ان يأتي على الاول وفي ايام الحصاد يدمق على السهول فيتلف الاثمار وعلى المكادس فينبرها نبرًا ويطارد الهوامّ والحشرات فيتلها وهي طائرة وينحدر على الكروم فيأكل عناقيدها . وهو من اصبر الطيور على العطاش حتى قيل انهُ لا يشرب بحياته ماء والصيادون يقطرون الماء عن الداجن

لاعتقادهم بان الماء يجعلهُ غير صالح للصيد على النحة في ايام السفاد ذكرًا كان او انثى

﴿ تمشيشهُ ﴾ عجيب هذا الطير في اطوارهِ وغيرتهِ فألفتهُ المعهودة تتحوَّل في اوائل اذار الى خصام شديد وعراك قويّ ونفور زائد فقلما ترى ذكرًا يقرب الاخر وقلما تتقابلا الَّا تصارعا وتضاربا حتى انه يسمع صوت القتال عن بعد فالضعيف يختفي والقويّ ينفض الخوف ويبرز كالكاسر كلّ ذلك ناتج عن الغيرة والتسابق الى الاناث. فاذا سمع الذكر صوت الحجلة حاق على غير مألوف عادته في الفضاء يفتش على مقرّها

وذكر صيَّاد امامي مرةً انه شاهد اربعة حجال يختصمون على انثى اثنان اثنان وثلاثة واربعة حتى تفانوا الَّا واحدًا خرج من هذه المعمة مهشمًا مجرَّحًا. وتستمرُّ هذه الحرب السجال شهرًا وربَّما طالت حتى يزول الطول ويجتمع كلّ ذكر بانثى فينفرد بها ولا يفارقها غيرة وخوفًا فينضد معها قشّ العش ثم تبدأ بالبيض وربما باضت من غير ذكر لكنّ ذلك البيض لا يصلح للحضونة فيفسد ولا ينقفُ (يوردر) ويبلغ بيضها الى العشرين وقلما شوهد اكثر من ذلك وبعض الاناث تبيض الموسم غب الموسم ومنها السنة تلو الاخرى وعلى قول البعض ان البيض يقلّ كل سنة واحدة وهكذا الى النهاية وهذا مما يؤيد زعم القائلين بان الحجل يعيش على عدد بيضهِ

ووجد الصيَّادون في العش بيضًا صغيرًا ما يرحوا الى الآن في لبنان يظنونهُ من وضع الحجل وهو بالحقيقة بيض انثى لم يكن منها الذكر تمامًا

ثم ترخم الانثى على بيضها مدة عشرين يومًا على الاكثر ويقيم الحجل بجانبها وربَّما تركها وقت الحضانة واستقلَّت هي بعملها. والدميري في كتاب حياة الحيوان يزعم ان الذكر يشارك الانثى بالحضانة فيرخم على البيض الذي داخله ذكر فقط. وغيره يقول انه يرخم عليهِ متى ذهبت انثاه لطلب رزقها والله اعلم

وجرَّب بعض الصيَّادين فاطبق في مكان منفرد ذكرًا وانثى داجنين فعششا واستقلَّت الانثى بالحضانة ولم يكن الذكر يقترب منها ولا يمسّ بيضها او يعاونها في اعالة صغارها مع انه كان دائمًا معها في عشّ واحد

والذي يرى من هيئة العش ان الحجل لا يتأنق كبقية الطيور بصنيع عشهِ

وحبكه حبكاً يضمن تماسكه فيكتفي بتنضيد ما يجمعهُ من القش اليابس بجانب بعضهِ حتى اذا اصابته ريح نثرته في كل مكان

﴿ بروز الفرخ ﴾ متى دبّت في الفرخ ضمن البيضة نسمةُ الحياة تشعر امهُ بقوة طبيعتها فتثقب عقب البيضة بمنقادها فيظهر رأس الفرخ ثم تأخذ بتوسيعهِ رويداً الى ان تنفرج القشرة ويصبح قادراً على الخروج بذاته فيخرج واذا مات احد صغارها تحمله بمنقادها سرّاً وتقذف به بعيداً عن العش لئلا يتأذّى من رائحتهِ البقية. والمقول ان الذكر يأتي بعد تلك الغيبة الطويلة وبمنقاده طعام يزُقّهُ للفراخ ويتولى بالمناوبة مع الانثى اعالة الصغار الى ان يقووا على الحركة فيلحقون والديهم كما يلحق الفوب الدجاجة

وصغار الحجل تخرج من البيضة مرتاشة كلها بخلاف بقية الطيور البرّية فيظهر عليها الزغب تدريجاً والحجل يحفظ فطرته الطبيعية وان تسلّطت عليه عوامل اخرى. جرَّب بعضهم والقى تحت دجاجة (قرقة) بيض حجل ففقس البيض في وقتهِ وخرج منه الفرخ وكانت الدجاجة تعامله كصغارها فترقّه وتضمّهُ تحت جناحيها وهو يتبعها كبقية الفراريج اينما ذهبت وايّان حلّت وهو يغرّد ويقرقر كصغار الحجل. ولمّا كبر خاصمهُ الفراخ حتى الدجاجة فاضطرَّ صاحبه ان يفصلهُ ويعتني به وكان بالحجم على قدر نصف البري

﴿ تدجينهُ ﴾ يستمرّ الفرخ في العش حتى ينشط فحينئذٍ على الاصح تستقل الانثى بامر الاهتمام به وتعوّده على الطيران فتخرج به بعيقات خروجها مقرقرةً امامهُ وهو يتبعها كما يتبع الفوبُ الدجاجة ويتّفق حينئذٍ مرور الصيادين او الرُعاة فيدركونهُ والوالدة تُظهر حينئذٍ من الشجاعة ما يحيّر العقل فقد تهجم وهي طائرة على الصيّاد وتضربهُ بمنقادها وجناحيها وتدور حوله مشيرة بتصويتها الى صغارها ومنذرة ايّاهم بالخطر والصيّاد يتركها وشأنها في تلك الحالة شفقةً على صغارها. ومتى حصل الصيّاد على عددٍ من الفراخ يضعها في قفص من يقطين على شكل ابريق الفخار ويعتني بها ويحافظ على تدفئتها لاسيا في الليل ويقدم لها طعاماً من «القبابيط» وصغار البيض وحبوب العنب ولبّ الخيار والقثاة ويحاذر لمسها بالاكف لانَّ ذلك يميتها ويتوفر بالعناية بها حتى تبلغ «التربيتة الصحيحة» وهي في عرف الصيادين تريّش الحجل

بريشه الحقيقي الذي يُعرفُ به وبروز العلامات في الرأس المميّزة للذكر عن الانثى وتغير الصوت من الصفير الى التغريد (التكلم) ويقاسي الحجل في هذه التزويقة من الاوجاع والالام اشكالًا والواناً وقد لا يقوى ولاسيا اذا كان يُدجَّن على مقاساة الآلام فيموت

ومتى ربي الفرخ في البيت صغيراً ألفه وما زال به كالدجاج لا يفارقهُ ويقترب من الناس بغير حذر ويصعد عليهم مصوّتاً تصويتاً لطيفاً وقد رأيت بعضاً من الصيادين يطلقونه وشأنهُ فيسرح في البرية ويعود كالحمام الى قفصه بخلاف المأخوذ كبيراً امّا عن الشرك او عن سواه فيظل بريّاً لا يتصيَّد واذا اطلقتهُ ذهب دون امل الى رجوعه والعيال السورية لاسيا اللبنانية تقتني الحجال في بيوتها إعجاباً بمنظرها وتيمُّناً بصورتها واعتقاداً بان الخير معقود بوجوهها . ويباع الحجل الداجن بريالين في سورية وقد يبلغ ثمنهُ ستة ريالات متى كان ماهراً في الصيد ومدرَّباً عليهِ

﴿ طرق صيده ﴾ قد تفنَّن الصيَّادون في سورية وذهبوا في صيد الحجل طرقاً ومذاهب شتى لأن فيه من اللباقة والتمرُّن على الرماية ما يدهش ويجدي الثناء على اصحابهِ فالذي يرمي حجلًا طائراً يحقّ له ان يحصى في عداد مهرة الصيادين

فان اراد الصيَّادون الخروج الى صيد الحجل دعا بعضهم بعضاً فيذهبون بكلابهم السلوقيَّة الى « المَحْجة » صاخبين حادين كانهم بمهرجان الى ان يقتربوا منها فيصمتون وينبثُّون فرقاً فرقاً تتقدمهم كلابهم فتهتدي هذه بقوة الشمّ الى مكمن الحجل وتثيره فيصوّبون عليه بنادقهم فمن اصاب الهدف يصخبون له استحساناً واعجاباً ويتقدمُ الكلب من الحجل المقتول ويحمله بفمهِ ويناوله لصاحبه . والحجل الذي يثار بيوم كهذا وينجو من الصياد يخلي مكانه حالًا ويقلّ ظهوره وتغريده ويكثر حذرهُ وربَّما مات من الخوف

ويُصاد الحجل بالشرك ايضاً وشركهُ على مثال الشبكة يطرحه الصيَّاد في سهل مقصدٍ للحجال ويغرس اطنابهُ جيداً وينثر في كل جهاته حبوب القمح فياتي الحجل لالتقاطها فتعلق رجلاه فيها وينتشب ساقاهُ وكلما حاول التملص اشتدَّ عليه الضغط فيقع كالمذبوح راقصاً . وهذه الطريقة كان يستعملها القدماء في بلادنا قبل ظهور السلاح السريع الطلق وقد بطلت الان وندر استعمالها

وربّما تصيّدوا «بالمطمة» وذلك انهم يخطّون في التراب في وطإ عجلة خطّاً قنيًا ويجلسونهُ على شكل ميزاب القرميد ويملأون باطنهُ برًا وينثرون على ظاهرهِ تبناً وقمحاً فيشاهده القبج ويهبط اسراباً اسراباً بصياح وتصويت وينبره نبرًا فيستأنف الصياد إجلاسه مرات ليتعوّد الحجل عليه ويقيم بجرية منه قترةً يغطّيها بالاوراق والاغصان وفي القترة كوّة صغيرة تقابل الثلم فيختفي فيها ممتنعاً عن كل حركة ومدخلاً فوهة بندقيته بالكوة لجهة الثلم فاذا انحدرت الحبال اصطفت حول الثلم كالعسكر او كالنادبات حول الميت فيفرغ عليها بندقيته فيقع ما يقع . والصيادون المهرة يستكرون هذه الطريقة واذا مرّوا بطمة حرقوها كي يبتعد عنها الحجل وخاصموا صانعها لخلوها من لذة الصيد ولقضائها على الأفراخ مرّةً واحدة

وفي اوائل تشرين الاول تترك الانثى صغارها وتقيم مع غيرها من الاناث وكذا الذكور الى ان يأتي زمن السفاد فيبدأ عهد الخصام ويستأنف زمن النعرة كرّته فتتناثر عقود الاسراب ويخفت الضعيف مستكناً ويظهر القويّ كاسرًا . والحجل في ذاك الوقت يفقد كل شعور ويطرح عنه كل خوف وتحذّر فتقترب منه ولا يجفل وتكاد تلمسهُ ولا يطير فاذا كان للصياد حجل داجنٌ حمله الى عجلة ونصبهُ على اريكته واستتر بجانبه وهيّجه للتغريد بصفيره فيبدأ بالمخاتلة والمراوغة فاذا سمعه بري انقضّ عليه كالباز على العصفور ليقتله غيرةً وانتقاماً فيبادره الصياد بناره ويهلكه وذكر لي صيادٌ مرةً انه نصب حجلةً مرةً وكان ضعيفاً فجاء اليه بريّ تدلّ ملامحه على تقادم عهده وقوّته وجثم على القفص يعارك الداجن من داخل والصياد لا يجسر على اطلاق النار مخافة اهلاك حجله ايضاً فقام اليه ولم يهرب حتى اقترب منه وصار يلمسهُ وربما جاءت الانثى ايضاً الى الحجل

قلنا انّ العامّة يدعون انثى الحجل «سركة» وهي تصحيف سلكة ويطلقون عليها هذا الاسم وقت الصيد فقط اذ يتّخذونها لاصطياد الحجل البرّي . وذلك من اهم الدروس في معرفة اطوار وطبائع الحيوانات ففيه تظهر سنّة الله منجليةً بكل معانيها ورسومها وفيه يُرى كلُّ ما حلّق في الجوّ ودبّ على الارض اكثر حرصاً واشدّ تمسّكاً من الانسان بنواميس باري الوجود ويصاد عليها في ايام السفاد . وطريقة الصيد عليها كما على الذكر فاذا كانت هذه لبقة ماهرة استجلبت اليها كل من سمعها

من الذكور وجملتهم يتماركون امامها ويتفانون فياخذهم الصياد بناره غنيمة باردة والصيادون يطعمون سركاتهم الثوم قبل اجلاسها على النصة تهييجاً لها والحجل الداجن قد يخرس وهو على النصة ولا يتكلم متى سمع آخر اشدّ منهُ بأساً وقوة وقد روى لي صيادو بلادنا ما اذكره بكل تحفظ قالوا ان لطيران الحجل وهبوطهِ الطعمة وتواله لمثله رعدةً ترعد الصيّاد كما يرعد صاحب الحمّى فتمنعهُ عن الضغط على ديك البندقية ويعبرون عنها بلفظة « طرد » فسبحان الخالق الذي خصَّ كل طير بأخلاقٍ يصون بها جنسهُ وتمنع الانسان ملكهُ من ان يستبدَّ بهِ ويفني نسلهُ

فهذه خلاصة ما عاينتهُ في حجل بلادنا فلعلهُ يقع لدى القرّاء موقع الاستحسان ويزيدهم شكرًا لبارئ الكون فيخدمون بنشاط ذاك الذي سخَّر لخدمتهم طيور السماء وحيتان الماء

البرهان الصريح
في اثبات أُلوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

سبب نكران اليهود ليسوع المسيح

وكأني اسمع هنا اعتراض المخالفين فيقولون : ان كان الامر كما تقول من انتظار كلّ الشعوب لمجيء المسيح وعن سبق النبوّات في تعريف زمنهِ ومكانهِ وكلّ تفاصيل حياتهِ من مولدهِ الى صعودهِ الى السماء. أفما كان الاولى بالأمة اليهوديَّة ان تتقدَّم في معرفتهِ على كلّ من سواها وفي يدها تلك الاسفار المدوَّنة في كلّ سطر من سطورها النبوّات المصرّحة بهِ . فان كان الامر على خلاف ذلك واليهود ينكرون كونهُ المسيح الموعود فضلًا عن انكارهم للاهوتهِ أفليس هـذا برهاناً جليّاً على انَّ شروحنا لكلام الانبياء مبنيَّة على اوهام باطلة لا سند لها في واقع الامر

نقول انَّ هذا الاعتراض اقوى حجَّة لدى الخصوم يتشبَّثون بها لردّ البيّنات التي

اوردناها من تقليد الشعوب ومن نبوات العهد القديم ومن ثم لا بُدَّ من تفنيدها قبل ان نواصل كلامنا في اثبات الوهيَّة المسيح فنجيب: (اوَّلًا) انَّهُ من الامور المقرَّرة تاريخيًا في اعمال يوسيفوس اليهوديّ وفي كتب اليهود القديمة الراقية الى عهد يسوع المسيح انَّ بني اسرائيل كانوا في بدء تاريخ النصرانيَّة يراقبون بفروغ الصبر من يوم الى آخر مجيء مسيحهم . ولذلك ترى رؤساء الكهنة والكتبة يرسلون الى يوحنا المعمدان يسألونهُ أهو المسيح المنتظر وان كان ليس هو بهِ فما بالهُ يعمد كانَّهُ المسيح (متى ١١ :٢ لوقا ٣ :١٥ و٧ :١٨ يوحنا ١ :١٩–٢٦) وكذلك يلقون السؤال عينهُ على يسوع (يو ١٠ :٢٤). وكان قبل ذلك قد استفهم هيرودس عند قدوم المجوس الى اورشليم عن مكان مولد المسيح (متى ٢ :٤–٥) فلم يتردَّدوا في جوابهم بل أتوا للحال بنبوَّة ميخا (٥ :٢) المصرّحة بميلادهِ في بيت لحم أفراتة. كما أنهم لم يرتابوا في الجواب لما سألهم الربّ عن المسيح ابن مَنْ هو فقالوا لوقتهم: انهُ ابن داود (متى ٢٢ :٤٢–٤٣)

(ثانيًا) ويظهر انتظارهم لمجيء المسيح في ذلك العهد من شواهد أُخرى لا سيما اخبار الصالحين من اليهود كزكريًا البارّ والد يوحنا المعمدان الذي «بارك الله لافتقادهِ شعبهُ واقامتهِ لهُ قرن خلاص من بيت داود ... يسبق ابنهُ يوحنا امام وجههِ» (لوقا ١ :٦٤–٧٦). وكسمعان الشيخ الصدّيق «المنتظر لتعزية اسرائيل الذي أُوحي اليه بالروح انَّهُ لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الربّ» فطلب من الله اذ رآهُ وحملهُ على ذراعيهِ «ان يُطلق عبدهُ بسلام لأنَّ عينيهِ ابصرتا خلاصهُ المعدّ امام وجه الشعوب» (لو ٢ :٢٥–٣١) . وكحنَّة ابنة فنوئيل التي لمَّا رأت يسوع الصبيّ «اعترفت للربّ وحدَّثت عنهُ كلّ من كان ينتظر فداء اسرائيل» (٣٦–٣٨). ومثلهم اندراوس تلميذ يوحنا المعمدان الذي ارشدهُ معلّمهُ الى يسوع فبشَّر اخاهُ سمعان بانَّهُ «وجد ماشيح الذي تأويلهُ المسيح» (يو ١ :٤١)

(ثالثًا) بل يلوح الامر من تسرُّع اليهود في ذلك الوقت الى اتّباع كلّ من كان يأتيهم مدَّعيًا بانَّهُ المسيح كتاوداس ويهوذا الجليليّ كما ذكر جملئيل في سفر الاعمال (٥ :٣٦–٣٧) ويوسيفوس في العاديَّات. وكيوناثان القيرواني (يوسيفوس حرب اليهود ك ٧ ف ٣٧) وكبركوزبا وبركوكبا وغيرهم. وقد ترفَّهم بذلك السيّد

المسيح حيث قال لهم (يو ٥:٤٣) : "انا اتيتُ باسم أبي فلم تقبلوني وان أتاكم آخر باسم نفسهِ تقبلونهُ" . بل سبق وحذَّرهم من المدَّعين زورًا بانهم مسحاء حيث قال (متى ٢٤:٥) : "ان كثيرين سيأتون باسمي قائلين انا المسيح ويضلُّون كثيرين"

(رابعاً) ولنا في اهل السامرة المجاورين لليهود والمتقدين باسفار موسى ما يؤيد هذه الشواهد في انتظار بني اسرائيل لقرب مجيء المسيح وذلك في ما رواهُ يوحنَّا (٤:٢٤) عن السامريَّة التي لقيها يسوع عند بئر يعقوب فقالت لهُ : "قد علمت ان ماشيح الذي هو المسيح آتٍ فمتى جاء ذاك فهو يخبرنا بكلّ شيءٍ"

(خامساً) وما قولنا باولئك اليهود الابرار الذين عرفوا الحقّ وقبلوا تعاليم السيّد المسيح وآمنوا بهِ . منهم في مدَّة حياة السيّد المسيح كالرسل والتلاميذ السبعين والنساء الصالحات وغيرهم الذين بلغ عددهم خمسمائة في بعض ظهورات السيّد المسيح من بعد قيامتهِ (١ كور ١٥:٦) ومنهم بعد صعودهِ كالثلاثة الآلاف الذين عمَّدهم الرسل في اورشليم يوم حلول الروح القدس (اعمال ٢:٢١) فتبعهم خمسة آلاف مرَّة أخرى (٤:٤) وغيرهم ايضاً حتى اخذ "المؤمنون بالرب في الازدياد جماعات من الرجال والنساء (أع ٥:١٤) . وهؤلاء اليهود المؤمنون لم يكونوا فقط في اورشليم بل في مدن اخرى ايضاً كدمشق (اع ٩:٢ و٢٥) ويافا (١٠:٥) وانطاكية (١٣:١) بل في كلّ اليهوديَّة والجليل (٩:٢١) وسواحل آسية الصغرى (١٤:١ الخ) هذا فضلًا عن السامريين (٨:١٤ و٩:٢١) والامم (١٠:٤٨ الخ)

(سادساً) وكما انَّ كلّ هؤلاء اليهود المتنصّرين آمنوا بيسوع واعتقدوا انَّهُ هو ابنُ الله الحيّ كذلك قد ورد في تآليف الربَّانيين ما هو كافٍ ليفحمهم ويثبت انَّ المسيح المنتظر صدقت خواصّهُ في يسوع وحدهُ . فمن ذلك قولهم انَّ حالة اليهود عند مجيء المسيح تكون حرجةً كثيرة الشدائد كما ورد في كتابهم المثنى (Mischna, Sota, IX, 15) وفي كتاب عزرا الرابع (٦:٢٤) وغيرهما ايضاً . وذلك ما تحقَّق في الأمَّة اليهوديَّة اذ انقطعت سلالة ملوكها الشرعيين وصار الصولجان في يد هيرودس الادوميّ واخذت الدولة الرومانيَّة بالضغط عليهم حتى نُصب النَّسر الرومانيّ فوق هيكلهم وقامت في جانبهِ رجاسة الخراب كما قال دانيال .

ومنها قولهم انَّ ايليا سوف يظهر عند مجيء المسيح قالوا ذلك في فصول من

كتاب التلمود (Baba mezia. I, 8 و Eduioth, VIII.7) لكنّهم اخذوا المجاز بدلًا من الحقيقة لأنهم ظنّوا ان السابق الموعود ليعدّ طريق الربّ في ملاخي (٣:١) وفي اشعيا (٤٠:٣-٥) هو ايليًا بشخصهِ والصواب انهُ ليس ايليا بالذات بل يوحنًّا المعمدان الذي جاء بروح ايليًا كما قال الملاك جبرائيل لابيهِ زكريًا (لوقا ١:١٧) انهُ يتقدّم وجه المسيح «بروح ايليًا وقوّتهِ». وعنهُ قال المسيح (متى ١١:١٠ و١٤) «هذا هو الذي كُتب عنهُ هاءنذا مُرسِل ملاكي امام وجهك يهيّئ طريقك قدامك ... وان اردتم أنْ تقبلوا فهو ايليا المزمع أن يأتي»

ومنها ايضاً تكريرهم في كتبهم بأن المسيح سوف ينتصر على اعداء اسرائيل ويملك الى الابد. وهذا قد ورد مرارًا في كتاب مزامير سليمان (المزمور ١٧:٢٤-٤١) وفي جملة اقوال الفيلسوف اليهوديّ فيلون كما في كتابه الثواب والعقاب (ع ١٦) وتكرّر في المثنى في كتاب بركوث (ف ١ ع ٥) وفي كلّها كلام صريح عن ظفر المسيح باعدائهِ وملكهِ المتداوم. ومثلهُ قول الملاك جبرائيل لمريم العذراء (لوقا ١:٣٢-٣٣) عن المولود منها: «انّ الربّ الالـه يعطيهِ عرش داود ابيه ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء». على انّ اليهود اذ كانوا شعبًا لحيًا لا يفكّرون الّا في حطام الدنيا والملك الزمنيّ كانوا يفسّرون كلّ آيات الكتاب المقدّس عن انتصارات زمنيّة فيتخيّلون المسيح كفاتح يزحف بجيوشهِ الجرّارة الى اقاصي البلاد ويذلّل كلّ الدول ليوطّد ملك اسرائيل. وذهلوا عن رقّ عبوديّة أُخرى اشدّ واقسى من عبوديّة المصريّين التي كانت سحقت الجنس البشريّ وجعلتهُ في حوزة العدوّ الجهنمي ولذلك لم يمكنهم ان يقبلوا قول المسيح بانّهُ سيتألّم ويُجلَد ويُصلَب ويموت وبموتهِ يغلب ارکون العالم ومن ثمّ كانوا اذا سمعوهُ يتنبأ عن موتهِ يقولون لهُ (يو ١٢:٣٤): «قد سمعنا من الناموس ان المسيح يدوم الى الابد فكيف تقول انت انهُ ينبغي ان يرتفع ابن البشر؟». ومع انّ كلام الانبياء في آلام المسيح اضوأ من الشمس كما اثبتنا ذلك كانوا يريدونهُ ظافرًا ممجّدًا امام الناس كسليمان وداود بل اكبر منهما. على انّ بعضهم اقرّوا بان المسيح ينبغي لهُ ان يتألّم على حسب منطوق الانبياء. منهم الربّاني تريفون (Tryphon) في جدالهِ مع القديس يوستينوس الفيلسوف (Justin, *contra Trypbon*. 89,90)

وكما تصوَّر اليهود المسيح سلطاناً معظماً تعنو لهُ كلّ ملوك الارض كذلك حملوا كلام الانبياء عن مجد اورشليم الروحيّ على معناهُ الحرفيّ فظنّوا ان المسيح سيحوّل مدينتهم الى كرسيّ ممالك العالم والى حاضرةٍ غاية في الرونق والبهاء تقصدها كلّ الشعوب وتنذهل من عظمتها وجمالها وسيعود العصر الذهبي الى الارض · مع ان اورشليم خربت بعد ذلك بزمن قليل ولم يُبقِ فيها اعداؤها حجرًا على حجر كما تنبأ عنها المخلّص (لوقا ١٩ : ٤١) وذهب معظم اهلها سبياً وقتلًا

(سابعاً) ومن عجيب امر اليهود انهم اذ كانوا غائصين في هذه الافكار العالمية لا يرون لمجد المسيح غير الجاه الزمنيّ فاتهم بأنَّ النبوات كانت تثبت كون المسيح إلهاً وابن إله وقد نقلنا بعض آياتهم في ذلك · والسيّد المسيح في الانجيل المقدس اضطرهم غير مرّة بان يقبلوا آيات الانبياء المثبتة لاهوتهُ كما فعل اذ سألهم عن المسيح ابن من هو فقالوا: ابن داود· فاردف قائلًا (متى ٢٢ : ٤٣–٤٦): فكيف يدعوهُ داود بالروح ربّهُ حيث يقول : « قال الربّ لربّي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك · فان كان داود يدعوهُ ربّاً فكيف يكون هو ابنهُ · فلم يستطع احدٌ ان يجيبهُ بكلمةٍ »

(ثامناً) لا بل لو كان اليهود منصفين لوجدوا ليس فقط في الاسفار المقدّسة شواهد واضحة عن لاهوت السيّد المسيح ولكن في كتب احبارهم ايضاً وخصوصاً في شروحهم على الاسفار المنزلة · وهم يؤكدون مثل النصارى انَّ النبوات يدور معظمها على المسيح الآتي· هكذا قال ربّي يوناتان بن عزئيل وربّي أبان في الترجوم الكلداني عند شرحهما لقول زكرياً النبيّ (٩ : ٩): «يا بنت اورشليم هوذا ملكك يأتيكِ صدّيقاً » ولقول اشعيا النبي (٢٥ : ٩) : « يقال في ذلك اليوم هوذا الهنا الذي انتظرناهُ وهو يخلّصنا . . . فنبتهج ونفرح بهِ » ولقول سفر نشيد الاناشيد (١ : ٣) : « اجذبني وراءكَ . . . فنبتهج بكَ ونفرح ذاكرين حبّكَ » فيصرح الشارحان بان هذا الملك الآتي « هو المسيح وانَّ بهِ يتمّ فرح اورشليم لانَّ إله اسرائيل يسكن عياناً على جبل صهيون ليس بمبعوثيهِ الانبياء فقط بل بشخصهِ الكريم »

وكذلك يفسّر الربّانيّون قول اشعيا (٣٠ : ٢٩) : « ولا يتوارى معلّمكَ من بعد بل تكون عيناكَ تريانِ معلّمك » قال ربّي يوناتان : انهُ يريد المسيح

فيقول لاسرائيل: « انَّ عينيك تريان لاهوتهُ » وكذا شرحهُ ربّي صموئيل بن يوحي وصاحب كتاب السفر (١ فقالا: « اذا جاء المسيح ترى عيناك يا اسرائيل ابا العهد العتيد ويُصبح الله القدوس المبارك مُعلِّمك وجهاً بوجه ولا يردّ وجههُ عنكَ »

وقال صاحب مدرش كوهلت في شرحهِ سفر الجامعة: « اذا جاء المسيح يثبت الله القدُّوس عرشهُ بين الابرار ويظهر لهم كلمة حكمتهِ المحجوبة منهم سابقاً فيوحيها من فيهِ الى مطيعيهم »

وكذلك صاحب مدرش تهيليم في شرحهِ على آية النبيّ باروك (٣:٣٨) « وبعد ذلك تراءى على الارض وتردّد بين البشر » يقول انّ هذا يتم في عهد المسيح « لانَّ الربّ الاله القدُّوس المبارك سوف يجعل سكناهُ بين الصالحين فيشيرون اليهِ باصبعهم قائلين مع صاحب المزامير: هوذا إلهنا »

واجلى من ذلك قول ربّي هدرشان في شرحهِ على سفر التكوين (٢ « ان اسم الله الكريم « يَهوَه » المذكور هنا انّما هو اسم الملك المسيح ». وهذا القول عجيب في بابهِ لانَّ الربّانيين يعظّمون اسم « يهوه » الى حدّ انهم لا يجسرون على لفظهِ ويبدلونهُ باسم « ادوني » اي « ربّ »

ومثلهُ وضوحاً قول صاحب مدرش تهيليم (٣ في شرحهِ لآية ارميا النبي (٢٣: ٦) « وهذا اسمهُ الذي يُدعى بهِ الربّ (يهوه) برُّنا » قال: « يتّضح من هذه الآية انَّ الله العظيم قد اعطى اسمهُ الكريم « يهوه » المسيح .. لانَّ كلام ارميا هنا انّما هو عن الملك المسيح »

فترى انَّهُ لا عذر لليهود في جحودهم ليسوع المسيح ولمّا نسبوا اليهِ التجديف لانَّهُ قال امام قيافا بانهُ ابن الله الحيّ هم الذين كفروا وجدّفوا على الله وصمّوا آذانهم وصلّبوا قلوبهم على اقوال الانبياء والربّانيين مفسري آياتهم

(ثامناً) ثمّ لا بُدَّ ايضاً من القول بانَّ الانبياء كما تنبأوا على حياة المسيح واعمالهِ ولاهوتهِ كذلك سبقوا واشاروا الى نفي الله لشعب اسرائيل ورذلهِ كما جاء في نبوّة دانيال (٩: ٢٥): « يُقتَل المسيح والشعب الذي ينكرهُ لا يكون

١) راجع كتاب غلاتينوس (Galatinus) (ص ١٨١–١٨٤)
٢) في كتاب غلاتينوس المذكور ص ١٢٦ ٣) فيه ص ١٢٩

له» . ومثله قول ملاخي (١ : ١٠) لشعب اسرائيل ينذرهم باللعنة وبتركة الامم بدلًا منهم : «اني لا مسرَّة لي بكم قال ربُّ الجنود ولا ارضى تقدمة من ايديكم لانهُ من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كلِّ مكان تُقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة لانَّ اسمي عظيم في الامم قال ربُّ الجنود اما انتم فدنَّستموهُ» . وآيات كثيرة مثل هذه تراها في اسفار الانبياء.

وكما أنذر اولئك الانبياء بني اسرائيل باللعنة والنفي كذلك السيد المسيح كرَّر الامر عينهُ مرارًا باقواله وامثاله . فمن ذلك قوله تعالى للفريسيين والشيوخ ورؤساء الكهنة (متى ٢١ : ٤٢—٤٤) : «اما قرأتم قطُّ في الكتب انَّ الحجر الذي رذلهُ البنَّاؤون هو صار رأسًا للزاوية . من عند الربِّ كان ذلك وهو عجيب في اعيننا ولذلك اقول لكم انَّ ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأُمَّة تصنع ثمرهُ ومن سقط على هذا الحجر يترضَّض ومن سقط هو عليه يطحنهُ» . ومثل هذا امثال كثيرة ضربها السيِّد المسيح لهم كمثل فعلة الكرم القاتلين لابن ربِّ البيت ومثل التينة غير المثمرة وما سوى ذلك مما أثار عليه بغض اليهود فاسلموهُ الى الموت

فترى من هذه الوجوه كلها ان اعتراض المعترض الذي يجحد دعوة السيِّد المسيح محتجًّا بكفر اليهود لما لا يجديه نكرانهُ نفعًا بل يزيدهُ اثمًا ان كابر الحقَّ واعمى دونهُ بصرهُ .

فبعد هذه المقدّمات يجوز لنا ان ندخل في موضوعنا فنبيّن الوهية السيِّد المسيح رأسًا بدرس حياتهِ واعمالهِ واستنادًا الى اوثق الادلَّة نريد بها الاناجيل المقدَّسة ثمَّ اعمال الرسل ورسائلهم ثم الآثار التاريخيَّة الكنسيَّة والمدنيَّة الباقية من ذلك العهد . ونقسم هذا الدرس فصولًا نثبت في كلِّ فصل منهُ لاهوت السيِّد المسيح من احد هذه الوجوه

الفصل الاول

الوهيَّة المسيح في مولدهِ

معلوم انَّ حياة البشر تبتدئ بمولدهم . وهي لعمري حقيقة لا تحتاج الى اثبات

فمن ذكرها عُدَّ ممسوساً بعقلهِ . فهذا نابوليون الكبير . وهذا اوغسطوس قيصر العظيم . وهذا الاسكندر ذو القرنين . ومثلهم اكبر الآباء كنوح وابراهيم واشهر المشترعين والانبياء كموسى وايليا واحكم البشر كسليمان وارسطو . فانهم مع عظم شأنهم وكثرة آثارهم وشهرة اعمالهم لتبتدأ عمرهم في نقطة من الزمان سبقها العدم في تاريخهم . فمن بحث عنهم قبل ذاك الوقت اضاع تعبهُ بل قل انهُ فقد شعورهُ

ومع اطراد هذه القاعدة وُجد لها شذوذ واحد في مدى الادهار . وصحّ الشذوذ في شخص فرد امكنهُ وحدهُ ان يؤكد دون كذب انهُ كان قبل مولدهِ الزمنيّ وقبل انتظامهِ بين مواليد البشر

وما هذا الانسان الوحيد الا السيد المسيح الذي افتتح يوحنا البشير انجيلهُ بوصف مولدهِ الازليّ من الآب حيث قال (يو ١:١ و١٤) : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . . . والكلمة صار جسداً وحلّ فينا وقد ابصرنا مجدهُ مجد وحيدٍ من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً »

ومثلهُ شهد يوحنا المعمدان المعروف بالسابق بانَّ المسيح المولود بعدهُ قد سبقهُ وهو اقدم منهُ فصرخ قائلاً (يو ١:١٥) : « هذا هو الذي قلت عنهُ انَّ الذي يأتي بعدي قد جُعل قبلي لانهُ اقدم مني ومن امتلائه نحن كلنا اخذنا »

وكذلك السيد المسيح صرَّح غير مرةٍ بانهُ كان قبل مولدهِ الزمني فقال لليهود (يو ٨:٥٦—٥٨) : « ابراهيم ابوكم ابتهج حتى يرى يومي فرأى وفرح . فقال لهُ اليهود : لم يأتِ لك بعد خمسون سنةً وقد رأيت ابراهيم ! فقال لهم يسوع : الحقّ الحقّ اقول لكم قبل ان يكون ابراهيم انا كائن »

فهذه شواهد اضوأ من النهار او يجب محوها من الاناجيل المقدسة لكنَّ السماء والارض تزولان وكلمة منها لا تزول او يتحتم الاقرار بانَّ السيد المسيح هو إله كان قبل مولدهِ البشري في الزمان . وهو القول الصحيح المؤيد بنبوات الانبياء العديدة فانَّ ميخا مثلاً (٥:٢) في نبوتهِ عن مولد المسيح في بيت لحم يصرّح بانَّ هذا المولود « مخارجهُ منذ القديم ومن الايام الاوَل » ويعلمنا اشعيا (٩:٦) ان المولود المنتظر من الشعوب « يدعى اسمهُ عجيباً مشيراً الهاً جباراً أبا الابد رئيس السلام » وكلّ ذلك ما لا يصدق في انسان محض هو ابن يومهِ . كما انَّ اشعيا ايضاً في نبوتهِ

عن العذراء الحبلى (٧: ١٤) يدعو ابنها «عمانوئيل» اي الله معنا فاثبت بذلك وجوده قبل الحبل به ومولده. ومثلهُ قول داود النبيّ عن مولد ابن الله في بدء الدهور (مز ٢: ٧) عن لسان الآب الازلي: «انت ابني وانا اليوم ولدتُك»

فهذه الآيات كلُّها تتوافق في بيان وجود المسيح قبل مولده بالجسد اعني من حيث طبيعته الالهيَّة التي لا يحدُّها الزمان ومن حيث مولده في حضن الآب قبل كلّ الدهور

ولو اعتبرتَ الآن خبر مولد السيد المسيح كما رواهُ متَّى ولوقا لوجدتَ امورًا اخرى تثبت الوهيَّتهُ

(اولًا) انَّ ظروف مولده قد عيَّنها الانبياء بكلّ دقَّة. منها المكان كما مرَّ في نبوَّة ميخا. والزمان كما اعلن بالامر دانيال النبيّ. ومنها حالتهُ الفقريَّة في مولده بين الحيوانات (اشعيا ١: ٣). وكذلك سجود المجوس لهُ وتقدمة الهدايا في مولده قد تنبأ بها داود فقال (٧١: ١٠): «ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليه الألطاف. ملوك شبأ وسبأ يقرّبون لهُ الهدايا»

(ثانيًا) تجد في مولد السيّد المسيح من المعجزات ما يجعلهُ في مقام لم يعهدهُ البشر فانَّهُ وحدهُ ولد من غير أب ودون زرع بشريّ بفعل الروح القدس بعد ان بشر الملاك بهِ امّه. هو وحدهُ قد خُصَّ بحضور الملائكة عند مهده وتسبيحهم لله في العلى وتمجيدهم لاسمهِ القدوس وسجودهم لهُ (لوقا ٢ والرسالة الى العبرانيين ١: ٦). وحدهُ ايضًا قد سجد لهُ ملوك الشرق وهو في سريرهِ.

(ثالثًا) ولا بأس في انَّ السيّد المسيح ولد في حالة الضعف والفقر مضّجعًا في مذود مقمَّطًا في اللفائف فانَّهُ اختار ذلك من تلقاء نفسهِ اذ جاء ليعلّم البشر الرضى بالفقر والمسكنة والازدراء بغنى العالم وجاه الدنيا فلو اختار ان يولد في قصر الملوك وفي بذخ العيش ألم يكن بذلك ابعد عنهُ الفقراء والرعاة وكذَّب بمثلهِ ما علَّمهُ بلسانهِ. وكم كان اشرف لهُ ان يأتيهُ الملوك فيسجدون لهُ في مغارة بيت لحم من ان يدخلوا اليهِ في بلاط احد الملوك. فتعفيرهم الجباه امامهُ في التراب لأدلّ على رفعتهِ واظهر لمقامهِ السامي من ان يكرم ملوك ملكًا صغيرًا في قصر احد امثالهم

(رابعاً) وزد على ذلك انَّ هؤلاء الملوك لم يحضروا بدعوة بشر ولكن رأوا كوكباً في السماء دلَّهم عليه بلعام احد اجدادهم كآية مجيء المسيح حيث قال (سفر العدد ٢٤: ١٧) : « اراهُ ولكن ليس الآن . ابصرهُ ولكن ليس قريباً . يبرز كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل فيحطّم طرفَي موآب . . . » ويتسلط الذي من يعقوب » فاذ لاح لهم عرفوهُ واسرعوا ملبّين صوت الله ولم يتريثوا لدى هيرودس الملك بل للحال اذ أعلمهم الكتبة ورؤساء الكهنة ان بيت لحم هي مكان ولادته نبذوا وراء ظهرهم فخفخة اورشليم وعزة ملكها ليرحلوا الى قرية بيت لحم الحقيرة

(خامساً) ثم انَّ في هداياهم ذاتها ما هو اهل بشأن المولود الذي سجدوا لهُ لا كانسان فقط بل كإله . فانهم قدّموا لهُ اللبان الذي يُحرق على المذابح اجلالاً للاله كما كان جارياً في هيكل اورشليم كأنهم اعترفوا بلاهوت المولود . ثم اهدوهُ الذهب الذي هو اثمن المعادن واعلاها قدراً فاعترفوا بملكه الذي ليس لهُ انقضاء . وقدّموا ايضاً المرّ الذي كانت تُحنَّط بهِ جُثث الموتى دلالة على انهم لم يفصلوا ناسوتهُ عن لاهوته واقرُّوا بكيان طبيعتيه الالهية والبشرية في اقنومه الالهي الوحيد

(سادساً) وماذا نقول بعد ذلك عن دخوله الى الهيكل في اليوم الاربعين من ميلاده اذ اولى هيكل زربابل شرفاً اعظم من شرف هيكل سليمان كما سبق ودلَّ عليه النبي حجاي (٢: ٧) : « قال ربُّ الجنود : اني مرَّة بعد ازلزل جميع الامم ويأتي مشتهى الامم فأملأ هذا البيت مجداً . . . وسيكون مجد هذا البيت الاخير اعظم من الاوَّل قال ربُّ الجنود وفي هذا الموضع أعطي السلام »

فنسأل كلَّ من هو خالٍ عن الغرض ايُّ بشر وُلد ميلاداً كهذا . اليس هذا كافياً للاعتراف بأنَّ المولود إله وابن اله . فهيهات هيهات ان يدعي انسان بشرف كشرفه

(لهُ بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

ԻՆՃԻԼԻ ՇԷՐԻՖ
վէ
Ա՛ՄԷԼԸ ՐԻՒՍՈՒԼ

ترجمة الاناجيل المقدَّسة واعمال الرسل في التركيَّة

طبع بمساعي الآباء اليسوعيين في مطبعتنا الكاثوليكيَّة في بيروت ١٩١٣ ص ٥٧٥)

في عدد سابق (ص ٧٤) ذكرت مجلَّة المشرق العمل المفيد الذي قام بهِ الآباء المرسلون اليسوعيون في جهات الارمن اذ نقلوا الى الارمنيَّة الحديثة الاناجيل الاربعة القانونيَّة مع اعمال الرسل ليتلافوا بذلك الاضرار الناتجة عن الترجمة البروتستانيَّة · لكنَّ اللغة التركيَّة هي شائعة ايضاً في بلاد الارمن ولعلّها راجحة في بعض النواحي على الارمنيَّة فيحتاج الكاثوليك الى ترجمة العهد الجديد في التركيَّة بدلًا من الترجمة التي لشاعهـا الاميركان في تلك الولايات · فالمرسلون الكاثوليك تجرَّدوا ايضاً لهذا العمل وانجزوا ترجمـة الاناجيل والاعمال في التركيَّة كما فعلوا في الارمنيَّة · على انهم قـد نشروا هذه الترجمة التركيَّة بالحرف الارمني ليس بالعربيّ الذي لم يعتده الارمن وقد تحرَّوا بجهدهم الدقَّة والضبط في الترجمة مع مراعاة آداب اللغـة التركيَّة وهي منقولة عن الاصل اليونانيّ اجمالًا الّا في بعض الدقائق التي رجَّحوا فيها الترجمة اللاتينيَّة الرسميَّة وبيَّنوا صوابهـا في المقدَّمة · وكذلك اضافوا الى الترجمة بعض الشروح المنقولة من اقوال الآباء الاقدمين · وممَّا يزيد قدر هذه الترجمة انَّ المجمع المقدَّس صادق عليها برقيم تاريخهُ سنة ١٩٠٨ لكن حالت بعض الاسباب عن نشرها الى الآن

الاب برتولو

M. Rémy. SPIRITES ET ILLUSIONISTES. Paris; A. Leclerc, 1911 pp. 254.

المناجون للارواح والمشعوذون

تألَّفت في باريس لجنةٌ من العلماء الاثبات بينهم الطبيعيُّون والاطبَّاء والجرَّاحون والفسيولوجيُّون ليدرسوا درساً مدقَّقاً تلك المظاهر التي يكشفها المناجون للارواح في

محاضراتهم والتي يُقبل الناس عليها اقبال الجياع على القصاع وكثُر فيها القال والقيل حتى انَّ عدَّة جرائد في باريس كجريدة اللاتين والجرنال وايكو دي باري والاكلير تباحثت فيها فكان يوجب الواحد ما ينكرهُ الآخر. وممَّن دخل في هذه اللجنة رجل راجح العقل واسع المعارف الطبيعيَّة اسمهُ المسيو ديمي كان منذ ٢٩ سنة يراقب اعمال المناجين للارواح ليستطلع اسرارهم ويبيّن ما فيها من الصحّة او الخزعبلات. وما هذا الكتاب الذي نحن بصددهِ سوى خلاصة مراقباتهِ عرضها في محاضرات القاها امام اعضاء اللجنة وغيرهم في احد مراسح باريس الكبرى سنة ١٩٠٧ ثمَّ زاد عليها ملحوظات جديدة فطبعها منذ عامين. وقد راجعنا هذا الكتاب الذي يلوح من خلالهِ انَّ المؤلف تتبَّع بكل تدقيق حركات المتعاطين مع الارواح والتصابين وكشف كثيرًا من اسرارهم المزعومة فاماط عنها الستار. وهذه خلاصة ملحوظاتهِ انَّ خمسين في المئة من الظاهرات المنسوبة الى الارواح ليست الاَّ مكرًا وخداعًا ثمَّ انَّ اربعين من الباقي يمكن تعليلهُ بعلل طبيعيَّة سعى المؤلف بوصفها وبيان حقيقتها. فيبقى عشرة في المئة لا يستطاع حملها على العوامل المعروفة في عالمنا فلا بُدَّ انْ تُنسب الى علل خارجة عن الطبيعة المحسوسة وان شئت انسبها الى الارواح ليست ارواح موتى كما يُظَنّ ولا ارواح صالحة بل هي ارواح شرّيرة اتَّفق كلّ الشعوب على خبثها ودعوها بالشياطين. وممَّا اثبتهُ في كتابه انَّ معظم الذين يتعاطون هذا الفنّ يُمَسُّون بشعورهم او يصابون بامراض عصبيَّة وغيرها تعرّض حياتهم لاعظم الاخطار فحذارِ حذارِ من مزاولتهِ

الاب ه. ريشار اليسوعي

Realencyklopaedie. Herzog-Hauck. Bd XXIII, pp. 816 et 700, Ergaenzungen und Nachtraege. *Hinrich's, Leipzig*, 1912-1913

دائرة المعارف البروتستانيَّة . الجزء الثالث والعشرون في قسمين

بعد انتهاء علماء البروتستانت من دائرة معارفهم الكبرى التي وصفنا اقسامها تباعًا في المشرق (راجع السنة ١٩١٠ ص ٧٢) لتجدَّد على هذا التأليف الواسع عدَّة ملحوظات ومعلومات لم يسع اصحابها السكوت عنها . فالحقوا تلك الدائرة بمجلَّدين ضخمين جعلوهما كتتمَّة عملهم فاصلحوا ونقَّحوا وزادوا واقتصروا كما رأوهُ اقرب الى الحقيقة . وقد راجعنا مقالات عديدة من هذه الملحقات فوجدناها جديرة

بالاعتبار وان كانت موافقة للمذهب البروتستاني. على أنّنا لحظنا في الكتبة سعيهم بالقواعد التاريخيّة ونبذ التطرُّف سواء تكلّموا عن الكاثوليك او عن غيرهم. فقد اقرُّوا مثلًا انَّ الكنيسة الانكليكانيّة الطقسيّة تتقرَّب من الكنيسة الرومانيّة (ق ١ ص ٤٧) كذلك اقرُّوا بازدياد عدد الكاثوليك في بريطانيّة العظمى في هذه السنين الاخيرة (ص ١٠٠) وقد صرَّحوا بان وزارة كومب في فرنسة اساءت في سياستها ولم تنل من اضطهادها للكنيسة الّا تمكين التحمُّس الدينيّ والتعلُّق بالكرسيّ الرسوليّ (ص ٤٦٢) كما أنهم أبدوا اسفهم من توفُّر الشيع البروتستانيّة التي تتناقضّ وتتخاصم وتضعف روح الدين (ص ٤٧٩). وممَّا يحتاج الى بعض تحرير قوائم الاحصاءات التي اثبتها المؤلفون عن الشرق والكنائس الشرقيّة فان كثيرًا منها لا ينطبق مع الواقع. ومثلها ما ارتاءهُ كتبة هذه الدائرة عن بعض الفرنسويين وآرائهم كاولّه لابرون (Ollé-Laprune) وبلوندل (Blondel) اللّذين نُسبت اليهما اضاليل عصريّة لم يذهبوا اليها. وعلى كلّ حال أنّنا نعدّ هذه الدائرة كساعد كبير للدروس التاريخيّة والمذهبيّة. وفي كلّ مقالة جدول للكتب التي راجعها كلّ كاتب لتسطير مقالته. وكفى بما قلناه دليلًا على رسوخ قدم اولئك الكتبة في ابحاثهم

الاب ف. تورنبغ

تاريخ كلدو واثور

تأليف السيّد اذي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثوري

الجزء الاول. طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت (سنة ١٩١٣ ص ١٨٥)

كنّا ننتظر بفروغ الصبر ان يقوم في شرقنا من يبسط تاريخ الطائفة الكلدانيّة كما سبق بعض ذوي الهمّة فكتبوا تاريخ السريان والروم والموارنة والارمن. فها هوذا قد تحقّق رجاؤنا بل غلب الواقع ظنّنا فانّ سيادة المطران اذي شير الجليل لم يقصر عمله في الطائفة الكلدانيّة بعد التاريخ المسيحيّ لكنّهُ حاول ايضاً ان يتحف الشرقيين بآثار قدماء الكلدان الذين طبّق ذكرهم المعمور مدّة الوف من السنين كما شهدت عليه ولا تزال تلك الحفريات العجيبة التي تواصلها البعثات العلميّة في انحاء العراق والعجم دون انقطاع فتستخرج من اعماق الارض آثارًا يدهش لها التمدّن العصريّ مع رقيّهِ وعمرانهِ. وهذا القسم الاول من كتابهِ يشمل تاريخ كلدو واثور

في الاجيال السابقة لعهد السيّد المسيح الّا بعض ممالك ظهرت في الشرق من بعد موت الاسكندر المقدوني فانّ سيادتهُ تتبّعها الى زمن انقراضها بعد المسيح كمملكة الفرثيين ومملكة اورهاي اي الرها . وقد تحرّى سيادة المؤلف في كلامهِ الرجوع الى كبار المؤرخين الذين كتبوا في زماننا عن تلك الدول كالعالم بالعاديّات البابليّة الاستاذ لونورمان في كتابهِ الموسع في الامم الشرقيّة القديمة وكشاهير الاثريين في مقدّمتهم السيو ماسپيرو في تاريخهِ الشرقيّ والسيو اوبير والسيو مينان وكذلك استفاد من المجلّات المختصة بالآثار الشرقيّة كمجلّة الكتاب المقدّس والمجلة الاسيويّة الفرنسويّة . وكثيرًا ما استند سيادتهُ الى مجلّتنا المشرق معربًا عن ثقتهِ بكاتبيها .
والكتاب متقن الطبع مزيّن بالتصاوير الجميلة مع خارطة ملوّنة فهو والحقّ يقال من اجود وابدع ما تزان بهِ المكاتب ويُعطى لطلبة المدارس كجائزة . فنشكر المؤلف على هذه الأثرة النفيسة ونتمنّى ان يطلعنا قريبًا عن القسم الباقي . امّا القسم المنتهي فيطلب في بيروت من حضرة الخوري يوسف طوبيل النائب البطريركي الكلداني وثمنهُ ثلاثة فرنكات دون اجرة البريد ل . ش

كتاب الحياة الهنيَّة في الدعوة الرهبانيَّة

نقلهُ الى العربيَّة الخورفسقفوس افرام احمر دقنه المارديني

طُبع بمطبعة الاتحاد على طريق النهر (بيروت ١٩١٣ ص ١٦٨)

ليس في هذه الحياة دعوة اشرف واجدى نفعًا للمرء من الدعوة الرهبانيّة كيف لا وبها ينقطع الانسان عن ملاذّ هذه العاجلة ويزدري بحطام الدنيا ليصرف وجههُ الى خدمة ربهِ ويهتمّ بالامر الوحيد الذي لأجلهِ خُلق على الارض الّا انَّ هذه الدعوة لا يعرف فضلها الّا القليلون ممّن انار الله ابصارهم واصغوا الى صوت داعيهم . فهذا الكتاب وضعهُ معلم جليل وهو القديس الفونس دي ليكوري لافادة جمهور المسيحيين قاصدًا ان ينبّه افكارهم الى شرف تلك الدعوة وفوائدها الجمّة وما يحفّ بها من الاخطار وكيف يمكن المدعوّين اليها ان يميّزوا ارادة الله ويلبّوا الى ندائهِ ثم يحافظوا على هذا الكنز الثمين اذا ما حصلوا عليهِ . فنعم ما عمل سيادة الخورفسقفوس افرام احمر دقنه رئيس الرهبانيّة الافراميّة السريانيّة في ماردين بتعريبهِ هذا الكتاب ليعمّ نفعهُ الشرقيين من كل الطوائف وقد اكتسب شكرًا مضاعفًا بزيادتهِ عليهِ

اثرين آخرين احدهما للقديس القونس المذكور والثاني لاحد نسّاك البلاد الشرقيّة اعني رسالة القديس سهدونا من كتبة القرن السابع الى راهب نكث نذره وهجر ديره فنحضّ كلّ الرهبان بل كلّ من يهمّهُ خلاص نفسه ان يطالع هذا الكتاب ويقتبس من انواره

ل · ش

La Ligue Maritime, REVUE MENSUELLE ILLUSTRÉE. Organe officiel de la Ligue Maritime française. 14ᵉ *année*. 8, *rue de la Boëtie, Paris VIII*ᵉ, *Revue simple, le* Nᵒ Fr 0, 25, *avec Supplément*, Fr 0, 75

مجلة العهدة البحرية الفرنسوية — تلطّف اصحاب هـذه المجلّة فاتحفونا باعداد نشرتهم التي تصدر مرّة في الشهر وتحتوي مقالات مهمّة ومعلومات واسعة عن النقابة البحريّة الفرنسويّة وعن ترقّي فنّ الملاحة التجاريّة والعسكريّة في كلّ دول اوربّة · وهذه المقالات في الغالب لاختصاصيين من امراء البحر وضبّاط متقاعدين زاولوا سنين طويلة قيادة السُّفن فدرسوا درساً تماماً كلّ ما ينوط بالتجارة البحريّة وفنّ الحروب البحريّة · ففي احد الاعداد الاخيرة من هذه المجلّة فصل مستفيض في تجارة الدول البحريّة غير فرنسة · وفيه فصل آخر عن اساطيل فرنسة الموجودة في البحر المتوسط يؤخذ منهُ انّ للدولة الفرنسويّة حالاً ثلاثة اساطيل كبيرة تحت قيادة الاميرال دي لاپرار (de Lapeyrère) فلكل اسطول ستّ دوارع يقودها نوّاب عن الاميرال او رؤساء مراكب محنّكون. ودوارع الاسطول الاوّل حديثة البناء لم يمض عليها سنتان حمولها ١٨,٠٠٠ طنّ تحرّكها آلات تبلغ قوّتها ٢٢,٠٠٠ حصان بخاري وتسير كلها بسرعة ١٩ عقدة بنيّف في الساعة · وفي كلّ دارعة اربعة مدافع عيارها ٣٠ سنتمترًا ثم ١٢ مدفعاً آخر عيارها ٢٤ س متسقة في كل برج اثنين اثنين ثم ١٦ مدفعاً عيارها ٧٥ ملمترًا و ٨ من عيار ٤٧ م ثمّ اسطوانتان لقذف الطوربيل · وكذلك دوارع الاسطول الثاني من حيث سرعتها وحمولها وعدد مدافعها الكبرى امّا المدافع الوسطى والصغرى فاكثر عددًا لكنّ عيار بعضها دون مدافع الاسطول الاوّل · وهذه الدوارع تاريخ انشائها في سنتي ١٩٠٧, ١٩٠٨ · امّا الاسطول الثالث فدوارعهُ اقدم عهدًا ترقى الى ١٥ سنة وكذلك تسليحها وسرعتها دون الاسطولين الاوّلين وان كانت ايضاً شديدة القوّة ·

ثم لفرنسة في البحر المتوسط اسطول آخر اخفّ مركَّب من ست بوارج مدرَّعة تبلغ سرعتها من ٢٢ الى ٢٣ عقدة رأينا بعضها في بيروت كلارنست رينان وجول فري وغيرهما. وما عدا هذه الاساطيل الكبرى لفرنسة خمسة أُسيطيلات لكلٍّ منها ستّ سفن لقذف الطوربيل ومماكستها. ثم أُسيطيلان مركَّبان من ١٧ سفينة غوّاصة. فترى ما للدول من الاستعداد للحروب البحريَّة نجّانا الله من ويلاتها

شذرات

فضيحة الماسونيَّة كنّا ظننّا انَّ الماسونيَّة بعد ما نشرناهُ من اسرارها السمجة ودفائنها القذرة تعود الى اغوارها وتتوارى عارها. على انَّ النار لا تزال تحت الرماد فترى ابناء الارملة اذا سنحت لهم الفرصة عجّوا وضجّوا علَّهم يسترحمون الناس على ارملتهم البائسة التي ينزعون عنها لبس الحداد ويموّهون قبحها بالزخارف الباطلة املًا منهم ان تروج بضاعتها بعد كسادها ويخدعوا بمديحهم من جهل حقيقة امرها. هذا ما فعلوا مؤخرًا على تربة احد زعمائهم فبينما كانت كنيسة الاروثذكسيَّة بصوت اكليروسها تطلب لهُ الغفران قام الماسون ومدحوا مبادئ عشيرتهم التي نعتوها «بالشريعة الحرَّة السامية». فجاء مديحهم قدحًا وثناؤهم شينًا. فمن جملة تلك الاقوال خطاب «فيلسوف الفريكة» الذي نكر وجود الله في كتبهِ كما بيَّنّا وجعل الناس «جرادين لا يفقهون» فاستحق ان ندعوهُ بالجردون الكبير (راجع المشرق ١٣ : ٣٩٠) فقال في خطابهِ انَّ الماسونيّ «مهما كان قبرهُ مقرًّا ابديًّا كان او جادَّة الحيَّة لمَن يقدّسون القبور» (كذا) وقال: «مهما كانت عقيدة المرء الدينيَّة او العقليَّة في هذه العاجلة الفانية فانَّ تقديمهُ الواجب وتفانيهُ في سبيل المجيد ليجعلانهِ من الاتقياء الاطهار والمقرَّبين الابرار ولاخوف على هؤلاء في الآخرة ولاهم يحزنون». فنعمت الماسونيَّة التي تؤمّن البشر من كلّ عقاب بتقديمها الواجب اعني بنبذها لكل دين كما فعلتهُ ولا تزال منذ حلول شرورها على الارض! — ومنها خطاب الدكتور اسعد افندي عنيش الذي زعم «انَّ الماسونيَّة هي صناعة انشاء الرجال» فمن ليس بماسونيّ اذن ليس برجل لانَّ «الماسونيَّة امينة على مبدإها تزيل الشرّ وتدفع البؤس

وتروع الخير وتبثّ الحبّ بين الناس بصرف النظر عن المذهب والوطن » (كذا). وعليهِ لا وطن للماسونيّ كما لا دين لهُ . افيوجد مدح اعظم للماسونيّ ولعشيرة البنّائين الاحرار نه انه ! — ومنها خطاب « التلميذ الوطني (وقد عرفت انّ لا وطن للماسون) « ميشال ابي شهلا » الذي زعم انّ الماسونيّ اذا قضى سقطت بموتهِ « الزاوية المثلّثة لبناء الانسانيّة والواجب » ويغير الليل عليهِ « لأنهُ يرى ان نور مآثر الماسونيّ وصفاتهِ وضياء علمهِ تكشف ما يجترمهُ ابناء الظلمة تحت جنحهِ المدلهم فيتحيّن الليل الفرص ليوقع بهِ على حين غرّة » (كذا) فيا « تعتيرَ الانسانيّة » اذا مات الماسونيّ !!!

وعقب هذه الخطب مساء السبت الواقع في ١٩ نيسان الاخير خطاب آخر انطبق اسمهُ على مسمّاه « فضيحة الماسونيّة . . . خطاب لم يسمع مثلهُ تحت سماء سوريا قدّمهُ خطيب العرب الشهير الاستاذ جورج اطلس » (كذا بحرفهِ). وكنّا نعرف ما ستهُ الخطيب تحت هذا الاسم ليخدع السذّج على عادة ابناء الارملة . ولكن لم ينخدع الّا من شاء من الجهلاء العميان لانّ الخطيب ذو مآثر ادبيّة يعرفها الخاصّ والعام فاجتمع الماسون لاستماع مديح الماسونيّة المنتظرة هذه المرّة بحجاب « الفضيحة » فرأى الحضور انّهُ احسن زيّ لتلك العاهرة وكان معظم الوفود من ابناء الارملة وعددهم لم يبلغ المئة فأنقمت قلّتهم خطيبنا المفوّه الذي افتتح كلامهُ متشكياً عن جمود الناس وعدم اكتراثهم لخطاب « يقدّمهُ خطيب العرب ولم يُستمع مثلهُ تحت سماء سوريا » . ثمّ اندفع في الكلام وهام على وجههِ فتكلّم على اشياء كثيرة وما نسيَ الّا بيان ما نوى اثباتهُ اعني مدح الماسونيّة فخاب امل الحضور وخرج ابناء الارملة بعد ساعة يزففون ويتغمغمون ويصرخون : يا لفضيحة الماسونيّة !

﴿ السيّد انثيموس صيفي مؤلف الدلالة اللامعة ﴾ بعد ايراد الادلّة نفياً وايجاباً على صاحب كتاب الدلالة اللامعة كنّا ختمنا الجدال بين حضرة الابوين قسطنطين الباشا وجرجس منش بقولنا انّ في ما رويناه الكفاية . على ان حضرة الاب قسطنطين وجد آثاراً جديدة ترجّح رأيهُ فكتب مقالة لتأييد قوله . فاجابةً الى ملتمسه نستخلص منها ادلّتها فقط لضيق المجال

﴿ الدليل الاوّل ﴾ رسالة للمطران انثيموس تاريخها ١٠ حزيران سنة

١٧٠٤ ارسلها الى مجمع انتشار الايمان « يلتمس من احسانه طبع كتاب له مؤلف جديدًا يردّ فيه على كتاب لزخريا جرغانو نُشر في البطريركيّة الانطاكية ويسعى في رفع شأن الكنيسة المقدّسة الرومانيّة » ويصرّح في رسالته بانهُ قد ارسل فهرس الكتاب على يد الرهبان الكبوشيين. وقد وجدنا هناك بالطليانيّة فهرس الجزءين الاوّل والثاني من الكتاب. امّا الجزء الثالث فلم يوسلهُ الّا سنة ١٧٠٧ بعد وقوفه على كتب كان طلبها من محاميه الكردينال سكرابنتي. وكتاب السيّد افتيميوس في المجلد الموسوم بالعدد ٥٠٠ وفيه رسائل مختصة بالروم الملكيين

(*Scritture originali riferili nelle congregazioni generali Greci Melchiti.* Vol. 550)

﴿ الدليل الثاني ﴾ ثم عاد افتيموس سنة ١٧٠٧ وارسل الكتاب كاملًا مع شمّاسه اسطفان عطا. الله وطلب بواسطة الكردينال سكرابنتي من مجمع انتشار الايمان ان يُطبع « ذاك الكتاب الذي ألّفهُ ». فعرض الكردينال على المجمع مؤكِّدًا ان الكتاب هو لافتيميوس وذلك في الجلسة المنعقدة في ٢ أيار سنة ١٧٠٧ وهذا بعض قوله بالحرف:

Monsignore Eutimio arcivescovo Greco Cattolico di Tiro e Sidone ha inviato a Roma un suo diacono per nome Stefano per rendere obedienza alla Santita di Nostro Signore e presentare all' Eminenze Vostre un libro, che il medesimo arcivescovo ha composto contro gli 'errori de Greci e fa istanza . . . che sia stampato (*Acta S. C. P. F. an. 1707, 2 Maii* ff. 122)

﴿ الدليل الثالث ﴾ ثمّ تأخر طبع الكتاب مدّةً لاسباب لا نعلمها فتكرّر ذكرهُ ثانية وثالثة في جلستين عُقدتا في ٧ أيار ١٧٠٨ و ١٦ نيسان ١٧٠٩ وفي كلتيهما يقال انّ الكتاب « تأليف افتيميوس »

«. . . suo libro da lui composto conra gli 'errori de Greci, (*Acta S. C. P. F. an 1709, 16 April.* fol. 180)

﴿ الدليل الرابع ﴾ ولمّا نجز طبع الكتاب واستلم نسخهُ الشمّاس اسطفان قدّم المذكور عريضة شكر فيها المجمع المقدّس والتمس ان يُسمح له بالعودة الى وطنهِ فقُرئت العريضة في الجلسة التي صارت في ٢٨ تموز سنة ١٧١٠ وفيها ذُكر ايضاً اسم المطران افتيميوس كمؤلف كتاب الدلالة اللامعة

« essendo gia compita la stampa del libro composto dal detto prelato » (*Acta S. C. P. F. an. 1715, 28 Jul.*, fol. 290)

فبعد هذه الادلة لا يبقى شبهة في انَّ كتاب الدلالة هو للسيّد افتيميوس صيفي والسلام

الصحافة الكاثوليكيّة والمحالفة البلقانيّة عادت الكلمة في عددها الثالث من السنة الحالية (ص ١٣٤) فحاولت ان تبيّن ان الصحافة الكاثوليكيّة تنصر الهلال على الصليب كما فعلتهُ سابقاً فزيّفنا اقوالها فتبيّن انَّ الكاثوليك في هذا الامر قد ذهبوا مذاهب شتى كلٌّ على مقتضى سياستهِ او نزعاتهِ . ومن اقوالها الكاذبة (وقد رأيت انَّ الكذب ديدنها) والسخيفة معاً قولها (ص ١٣٦) « بان البابا البروتسطاني اي غليوم الثاني امبراطور للانية (كذا) كان دوماً يتودَّد الى خليفة النبي على انَّ البابا الرومانيّ ايضاً لم يكن اقلّ تودّداً الى هذا الخليفة من البابا البروتسطانيّ بل كانا كلاهما يتنافسان في هذا التودُّد » فانظر يا رعاك الله كيف يتكلم الاسقف هواويني عن اكبر سلطة ادبيّة في العالم . واكذب من ذلك قولهُ مروياً عن جريدة «نوفويه فرميا» قال انَّ : «حلمي باشا سفير تركيا في ڤيِنّا قد بعث الى الباب العالي باعلام سرّي قال فيه ان البابا بيوس العاشر بإلحاح من النمسا قد بعث بمذكرة الى حكومات جرمانيا والنمسا وايطاليا يظهر فيها املهُ الوطيد بان حكومات المحالفة الثلاثيّة سوف يبذلون جهدهم في ان تكون مدينة سكوتاري داخلة في حدود المملكة الالبانيّة المنوي تأسيسها . . . » . فننشدك الله أيها السيّد الهواويني اتصدّق سفاسف كهذه ؟ وان لم تصدّقها فكيف يمكنك ان تنشرها ؟ هب ان البابا كتب الى امبراطور النمسا فهل يحتمل القول انهُ كتب ايضاً الى ملك ايطاليا المحروم والى امبراطور جرمانيا « البابا البروتستاني » ؟ . وما لك لم تقل انهُ كتب الى قيصر روسيّة والى ملك انكلترة ورئيس جمهوريّة فرنسة وكلّهم الآن يريدون ان اشقودره تبقى لالبانيا المستقلّة ! فايّ متى يعقل محرّر الكلمة فلا ينقاد الى تعصّبهِ الاعمى ضدّ الكنيسة الرومانيّة ام كلّ الكنائس ورأسها شاء ام أبى كما اقرّ بهِ كلّ قديسي الكنيسة اليونانيّة كيوحنّا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وشهاداتهم كافية لتفحم كلّ منفصل عن كنيسة المسيح الوحيدة

ارتداد رهبان انكليكان الى الكثلكة — كلٌّ يعرف ان الكنيسة الانكليكانية في ازمة دينية لا تزال تضايقها منذ رأى علماؤها المنصفون انها خرجت عن سراطها المستقيم يوم تبعت ملكها هنريكوس الثامن الذي القاها في لجة الضلال . ومن ثمَّ لا تمرُّ عليها سنة الّا يعوي كثيرون من ذويها ولاسيما وجوهها الى الكثلكة . ومن نبذوا آخرًا الشيعة البروتستانية بعض تبعتها ممن تقلّدوا بالرهبان الكاثوليك فاخذوا منذ السنة ١٨٩٨ يأتسون بهم ويقتدون برسومهم وقوانينهم وصلواتهم القانونية على طريقة الرهبانية البندكتية وتشبهًا بالقديس اوغسطينوس رسول الانكليز . وكان رئيسهم الاب كارليل (Ærled Carlyle) قد نذر النذور الرهبانية على يد رئيس اساقفة كنتوبري الدكتور تجل الانكليكاني . ثم تمكَّن الرئيس المذكور وانضمَّ اليه غيره من الرهبان فسكنوا ديرًا في معاملة يوركشير في بلدة پنسثورپ (Painsthorpe) ثم انتقلوا الى جزيرة صغيرة تُدعى كلدي (Caldey) في سواحل البحر الشمالي . وعلى مثالهم أُنشئ دير للراهبات في ميلفورد هاڤن (Milford-Haven) . فهؤلاء الرهبان والراهبات لم يزالوا يتمسكون بممارسة الفضائل الرهبانية والانكليكان يفتخرون بهم بازاء الكاثوليك حتى اتاهم الله آخرًا فعرفوا حق المعرفة انهم ما داموا في الكنيسة البروتستانية ليسوا على طريق الخلاص فنبذوا كلهم الشيعة الانكليكانية وطلبوا الدخول في الكنيسة الرومانية فبعد الفحص القانوني ورياضة استعدادية ومجاهرتهم بكل المعتقدات الكاثوليكية نالوا الحلَّ من الحرطقة على يد الاب دون كام (R. P. Dom Camm) الراهب الانكليزي البندكتي برخصة الحبر الاعظم وتمَّ انضمامهم الى الكنيسة الكاثوليكية في ٥ اذار الماضي في حفلة القداس الذي اقامه مطران متاثيا الكاثوليكي . وعدد الرهبان اثنان وعشرون . وفي اليوم التالي جحدت الراهبات الاضاليل البروتستانية وعددهن ٣٧ راهبة . وقد ارسل الكردينال مري دلڤال على لسان البرق تهنئة للمرتدين مع بركة قداسة البابا مثبتًا لهم الثبات

حركة الافكار في الصين — مذ دخلت الصين في عداد الجمهوريات اصبحت في حالة من قام من نوم بعد سُبات طويل . وقد افادنا احد مرسلي رهبانيتنا في شنغاي انَّ وجوه تلك الحاضرة الوثنيين بعد ازدرائهم بالاوربيين

اخذوا يشخصون اليهم كما فعل اهل اليابان ليدرسوا اعمالهم ويقتفوا بهم . ومما استرقف انظارهم خصوصاً اعمال المرسلين الكاثوليك ومشروعاتهم الخيريَّة العديدة مع نزاهة رهبانهم ودواعيهم وتفانيهم في خدمة الصينيين وحسن سيرة المتنصرين على يدهم . ومن غريب ما حدث هناك في غرَّة السنة الجارية انَّ اعيان المدينة من نصارى ووثنيين اولموا وليمة فاخرة دعوا اليها السيِّد باريس (M^{gr} Paris) اسقف شنغاي اليسوعيّ وبعض رؤساء الكليَّة الكاثوليكيَّة ومرصدها الفلكي فأثنوا في غضونها على همَّة المرسلين وشكروا مساعيهم الجليلة وفضَّلوها على كلّ اعمال سواهم من الاجانب . وكان من جملة المتكلمين حاكم المدينة الوثنيّ المسمَّى « اوقاي هيان » الذي اطرأ مشروعات المرسلين التي انشأُوها ليس فقط لخدمة الاجساد كالمياتم والمستشفيات ودور العَجَزة ولكن على الاخصّ مشروعاتهم لتهذيب العقول وتعليم الآداب في مدارسهم ومرصدهم الفلكيّ ومطبعتهم التي نشرت كتباً لا يحصى عددها فأثَّر هذا الكلام في رصفائهم الوثنيين ايّ تأثير وكان من جملتهم « ونغ يا تساي » قاضي المدينة و « سوتساء » رئيس الشرط العام والجنرال « لي » و « ياوتساي زنغ » رئيس البلديَّة . وكلهم وافقوا على كلام الخطيب وافاضوا في مدح المرسلين الكاثوليك الذين منذ ٣٥٠ سنة لم يثبطهم شيء في خدمة الصين . وكان بين الحضور رئيس شركة الترامواي والكهرباء الصينيَّة المدعوّ « لوپاهنغ » و « نيقولا تسو » صاحب معمل كبير لتجهيز الادوات المعدنيَّة ورئيس البنك الهندوصيني وكلاهما من الكاثوليك وغيرهما ايضاً الذين بعد الغداء عرضوا على رصفائهم الوثنيين زيارة دار العجزة فرأوا فيها ما خلب عقولهم من الترتيب والنظافة وكمال الاهبة فاستقبلهم ٣٠٠ منهم بعضهم نصارى وبعضهم وثنيُّون وشكروا كلّ الشكر رحمة الراهبات اليهم اذ يخدمنهم بخدمة ارأف الأمهات على اعزّ اولادهن . ولم يخرج احد من المدعوّين الأبعد ان اكتتبوا بمبالغ وافرة لاولئك المساكين واتَّفقوا على ان يفتحوا مستشفى جديداً يسلمون تدبيره الى الراهبات العجزة الكاثوليكيّات لا سيما اذ علموا انَّ تلك الرهبانية مع حداثة عهدها بلغ عدد راهباتها في اوربة ٤٠٠٠ راهبة يعتنين بتمريض ٤٧,٠٠٠ عاجز او مريض . واذ رأى اعيان الوثنيين تلك الاعمال التي كانوا سمعوا عنها دون النظر اليها ارادوا ان يدرسوا هم ايضاً تعاليم الدين

النصرانيّ فاقترحوا على سيادة المطران باريس بان يتشي لهم مكتبة يجمل فيها اهمّ الكتب النصرانية ليطالعوا عليها . فاسرع الاسقف واجاب الى ملتمسهم

❊ منبع نهر الكنج ❊ نهر الكنج من اكبر انهار الهند . واول من عرّف اصل ينابيعه الاب اليسوعي انطون دي أندراد فتبعهُ من هردوار الى مخرجه في جبال حملايا سنة ١٦٢٤ وأكَّد في تاريخ رحلته انَّ نهر الكنج يخرج من بُحيرة . فلمَّا كانت السنة ١٨٠٧ رحل الضابطان الانكليزيان روبر ووَاب (Roper et Webb) الى الهند وبحثا عن ينابيع ذلك النهر فزعما انَّ الاب دي اندراد خلط بين نهرين فنسب الى نهر الكنج ما لا يصحُّ الّا على نهر سوتلج الذي اصلهُ من بُحيرة مناسَرُوار امَّا الكنج فلا يخرج من بحيرة . فشاعت هذه الرواية وأُهمل رأي الاب دي اندراد حتّى قام في العام الماضي الاستاذ فَسلس (Professeur Wessels) من علماء هولاندة فبيَّن صحَّة قول الاب دي اندراد عن مخارج نهر الكنج الذي تخرج شعبة كبيرة منهُ من بحيرة اسمها تُشُترُكُنكا اي «كنج الاله تُشُو» . وكتب في ذلك كرَّاساً في الالمانيَّة نفى فيهِ كلَّ ريب من هذا القبيل وبهِ ثبت انَّ احد المرسلين الكاثوليك سبق فعرَّف قبل غيرهِ بنحو مائتي عام اصول نهر الكنج .كما اثبت في زمانهِ يسوعيٌّ آخر وهو الاب سيكار (P. Sicard) منبع نهر النيل من البحيرات الواقعة عند خط الاستواء.

❊ زيارة رئيس الولايات المتحدة لكليَّة كَرَيتون ❊ روى البشير آخراً زيارة وداع السيِّد تافت رئيس الولايات المتَّحدة الاخير لكليَّة الآباء اليسوعيين في جورجتون في ٢ اذار . وقد اراد الرئيس الجديد السيّد ولسون ان يظهر اعتباره لهم فزار كلّيتهم في كَرَيتون (Creighton) من معاملة اوماها فاستقبلهُ رئيسها وتلامذتها بحضور الجنرال سميث احد المتخرّجين في الكليَّة فرحَّبوا بهِ وهنَّأوهُ بعلوّ رتبتهِ السامية فاجاب مثنياً على اساتذة المدرسة الذين يعدّون للوطن رجالاً يكونون عمّا قريب فخرهُ وعضدهُ

❊ مكتبة كاثوليكيَّة ❊ سرَّنا خبر انشاء مكتبة كاثوليكيَّة عموميَّة في البلد بهمَّة جمعيَّة طوبيَّا البار المارونيَّة بجانب كنيسة مار مارون . وهو امرٌ كنَّا نتوق اليهِ من امد طويل فنتمنَّى لهذا العمل كلَّ نجاح ونطلب من كلّ ذوي

الاريحيّة ان يعضدوه كي تصبح هذه المكتبة جامعة لكل ما يحتاج اليهِ الادباء لدروسهم وترويح بالهم

اسئلة واجوبة

س سأل الاديب ش ر من حلب عن رأينا في ما كتبهُ صاحبا المقتطف في عددهما الاخير الصادر في نيسان ١٩١٣ (ص ٣٥٢) حيث قالا: « اكتُشفت اكتشافات تدل على انَّ الانسان كان منتشرًا في اوربا وجزيرة جاوى وما بينها من البلدان منذ نحو مئة الف سنة الى مليون سنة وانهُ كان على انواع مختلفة في ذلك العهد »

قدم الانسان

ج هذا منقول عن قوم يتسرَّعون في الحكم فيستنتجون النتائج من مقدّمات غير مثبتة . وان شاء الله نعود الى هذا البحث قريباً ونذكر اصدق ما حقَّقهُ العلماء الاثبات . وهنا نكرّر ما قلناهُ غير مرَّة ولو ثبت بالادلَّة القيّمة الراهنة انَّ الانسان وُجد على الارض منذ مئة الف سنة بقيَت فهذا لا يمسُّ صحة التوراة لأنَّ احصاءات التوراة قد تضاربت فيها الآراء . ومن المحتمل ان سلسلة الآباء الاولين ليست متواصلة كما يظهر من شجرة نسب السيد المسيح في القديس لوقا التي تزيد حلقةً عليها لا ذكر لها في توراة موسى

س وسأل من الخرطوم يعقوب افندي مرعي : ١° ايجوز للكاهن ان يحذف بعض صلوات القداس بدافي العجلة او لعدم معرفتها غيباً . ٢° كم يجب ان تكون اغطية المذبح

صلوات القداس — اغطية المذبح

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ الكاهن يخطئ اذا اهمل شيئاً من صلوات كنيستهِ في القداس ما لم تكن بعض هذه الصلوات اختياريَّة مسموح للكهنة ان يتلوها او لا . وان جهل منها شيئاً فليتعلمهُ غيباً او يستعين بكتاب — وعلى (الثاني) بان العادة المألوفة في الكنيسة الرومانيَّة ان تُبسط فوق المذبح ثلاثة اغطية من كتَّان يمتدّ اعلاها على جانبي المذبح . ويجوز غطاءان يكون الاسفل مطوياً . وقد قال البطريرك الدويهي في منارة الاقداس (ج ١ ص ١٤٩) انَّ الشرقيين يتخذون هذه الاغطية من كتَّان او من قطن

ل . ش